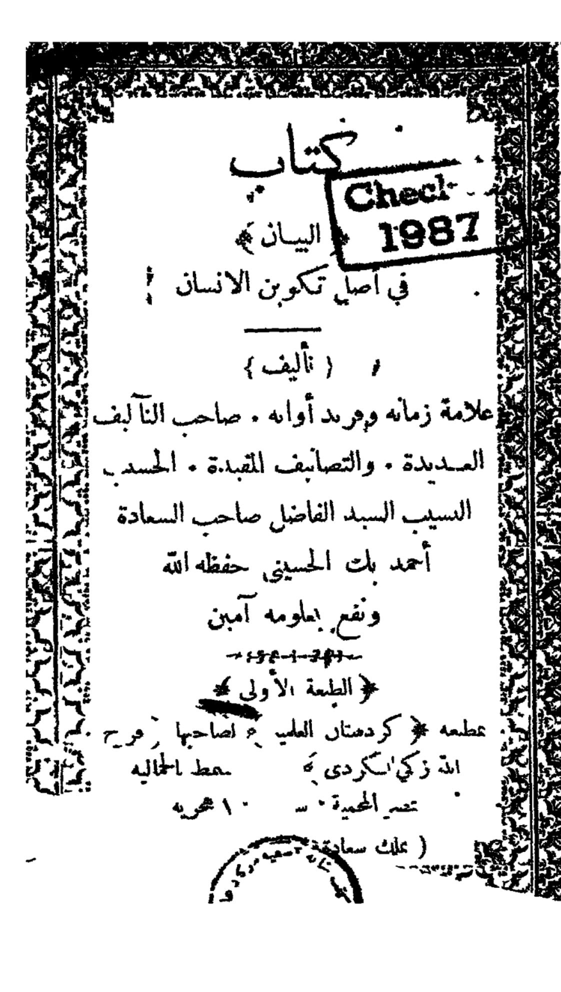


كتاب

البيان

في أصل تكوين الانسان

(تأليف)

علامة زمانه وفريد أوانه . صاحب التآليف

العديدة . والتصانيف المفيدة . الحسيب

النسيب السيد الفاضل صاحب السعادة

أحمد بك الحسيني حفظه الله

ونفع بعلومه آمين

﴿ الطبعة الأولى ﴾

بمطبعة ﴿ كردستان العلمية ﴾ لصاحبها فرج

الله زكي الكردي بخط الجمالية

بمصر المحمية . سنة ١[illegible]٠ هجريه



كتاب

﴿ البيان ﴾

في أصل [illegible] الانسان

تأليف

علامة زمانه وفريد [illegible] • صاحب التآليف العديدة • والتصانيف المفيدة • الحسيب النسيب السيد الفاضل صاحب السعادة

أحمد بك الحسيني حفظه الله

ونفع بعلومه آمين

﴿ الطبعة الاولى ﴾

بمط[illegible] [illegible]ردستان العلميه لصاحبها فرج الله [illegible] الكردي بدرب المسمط بالجماليه

بمصر المحمية ـ سنة ١٣٢٨ هجريه

(على نفقة سعادة المؤلف المذكور)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله أوجد من العدم الخلائق * وأبدع بباهر حكمته جميع الكائنات على غير مثال سابق * بدأ خلق الانسان من طين * ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين * كان نطفة من مني يمنى * فصار بشراً سويا ذا يسرى ويمنى * خصه بأحسن تقويم * وشرفه بالعلم والتعليم * وفضله على كثير ممن خلق تفضيلا * وزينه جل علاه بعقله تكميلا * والصلاة والسلام على من أنزل عليه اقرأ باسم ربك الذى خلق * خلق الانسان من علق * اقرأ وربك الاكرم * الذى علم بالقلم * علم الانسان مالم يعلم * وعلى آله وصحابته * والتابعين وذوى قرابته * وبعد * فيقول أفقر العبيد الى رحمة ربه الغنى * أحمد بن أحمد بن يوسف الحسينى * غفر الله ذنبه * وستر عيبه * ورحم آباءه الاولين *

وجعاني ممن ابلغهم من الفائزين * اني لما أتممت كتاب الطهارة من
من شرح الام مرشد الانام *لبرّأم الامام * ذيلته بنبذة من
كلام الاطباء في بيان كيفية التناسل ومني الرجال والطمث
والنفاس وغير ذلك مما يلحق بباب مايوجب الغسل من خروج
المني والحيض والولد وأتبعتها بالتوفيق بينها وبين أدلة الشرع
حتى يعلم المطلع ان لا تنافي بين الطب والنقل *ولما اطلع بعض
أفاضل العلماء على ما كتبناه استحسن ابرازه ونشره على حدة
ليعم نفعه مبادرة للفائدة فوافقت رأيه وجعلته رسالة مستقلة
فان الشرح لم يتم الى الآن وقد وصلت فيه الى الكلام في
فضل الجمعة وقد بلغ ولله الحمد ما كتبته من أول كتاب
الطهارة الى هذا الموضع خمسة عشر مجلداً كل مجلد فوق
الاربعين كراسا أسأله تعالى العون على اتمامه وقد سميت
هذه الرسالة ﴿البيان في أصل تكوين الانسان﴾ وأرجو الله
سبحانه أن يجعلها من العمل المقبول * بجاه طه الرسول صلى
الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم وهاك نص عبارته

وتتميما للفائدة نذكر أقوال الاطباء في التناسل ومني

الرجل والطمث والنفاس وغير ذلك مما يلحق بباب مايوجب الغسل من خروج المنى و لحيض والولد ليكون المطلع على بينة من قول الاطباء في ذلك وهذا تابع لما يسمى عندهم بعلم الفسلوجيا وهاك ما قررته علماء هذا الفن

﴿ حد التناسل وبيان أنواعه ﴾

التناسل هو ثمرة عمل المتفاعلين ـ بها تتكاثر الكائنات الحية كل يعطى مشابهة لنوعه ـ ففي النوع الانسانى توجد تلك الثمرة من اجتماع الذكر بالانثي فتأتى كنوعه وقس على ذلك سائر الحيوانات وكذا النباتات الحال فيها مثل الحال في الحيوانات ـ لاننا نرى في اكثرها تناسلا ناشئا اماعن تلقيح من الذكر للانثى واما أن تكون مادة التناسل موجودة في غلاف زهري واحد ـ بها يلقح نفسه بنفسه من نفس ذلك الغلاف لكن بواسطة حركة الهواء ومن الحيوانات الخنثى وله أنواع يحتاج بعضها الى بعض لاتمام التناسل والتكاثر وقد توجد حيوانات دنيئة تتولد بدون وجود أعضاء تناسل كالنباتات عديمة الفلقة بانفصال جزء من الحيوان الاصلى ليكون

حيوانا آخر مثله ينمو ويتكاثر وقد تنفصل جرثومة من الحيوان الاصلي على هيئة حوصلة تتبع فى نموها نمو الخلايا وقد تتولد أزرار لحمية من الظاهر أو من الباطن تنفصل من الحيوان بعد نموها لتكون حيوانات أخرى والاجزاء المنفصلة من الحيوان الاصلى تعوض بالنمو . فتحصل ان طرق التناسل متعددة مختلفة بحسب أنواعها كما علمت وفى جميع الحيوانات ذوات أعضاء التناسل سواء كانت منفصلة في النوعين أم مجتمعة فيه يلزم ان عضو الاناث يولد بويضة أو بويضتين فأكثر وعضو الذكور يكون سائلا يخصبها بملامستها لان ذلك يعد شرطا لنموها مهما وهذه الملامسة تارة تكون بعد خروج البويضات من الانثى كما يحصل ذلك في نوع السمك وتارة تخصب البويضة قبل خروجها من الانثي كما فى الطيور وتارة أخرى تخصب فى باطن الانثي ثم تتثبت تلك البويضات بعد ذلك فى التجويف الرحمى وفيه تأخذ جميع أطوار نموها ثم تنفصل من جسم الام متمتعة بالحياة كما يحصل ذلك في نوع الانسان والحيوانات الثديية أى ذوات الثدى *

فمما ذكر يانتج أنه من الضرورى لحصول التناسل مهما اختلفت
أنواعه وجود البويضة من جهة ووجود السائل المخصب
لها من جهة أخرى أما محل أخصاب البويضة ومحل نموها
فسنذكرهما فيما يأتى فالانسان يتولد من بويضة تتكوّن في
مبيض المرأة وتأخذ في النمو الى أن تصل الى تمام نموها ثم
تنفصل منها فى وقت معلوم وبعد ذلك تتقابل مع السائل
المنوى الداخل فى أعضاء تناسل المرأة فيخصبها ثم تمكث
فى الرحم المدة الكافية الكافلة لنموها ثم تخرج الى الخارج
مكتسبة فى الغالب هيئة الشخص المولدلها هذا ان صح وجود
نسل منها فتكون الحالة هكذا ـ أما الحالة التى لا تخصب
فيها البويضة بمعني انها تذوب فى سوائل أعضاء تناسل المرأة
الى حالة لا يمكن مشاهدتها فانه لا يكون فيها نسل أصلا
[هذا] وسنشرح لك الحالة بتمامها على الترتيب والتعقيب
فنشرح تكوّن البويضة ثم الطمث التابع لها ثم المني المعبر
عنه بالسائل المنوى الكثيف المخصب للبويضة ثم الجماع ثم
الاخصاب أى تلقيح البويضة ثم نمو البويضة في الرحم ثم

وظائف الجنين ثم ظواهر الحمل والرضاعة ثم كيفية نمو المولود جاعلين كل واحد منها في باب على حدة على سبيل التلخيص الكافل بالتخليص ليسهل التوجه اليها والوقوف عليها فنقول

الباب الأول في تكوّن البويضة

لاجل معرفة تكوّن البويضة يلزم أن نورد كلاما يتعلق بالعضو المولّد لها وهو المبيض فنقول . من المعلوم ان الجهاز التناسلي للمرأة يتركب من مبيضين تتولد فيهما البويضات ومن بوقين يقبل صوانهما البويضات لكي يوصلها الى الرحم الذي يحفظها في باطنه المدة الكافية الكافلة لتمام نموها ومن مهبل وفرج يعطيان مسلكا لخروج متحصل الحمل وهما من أعضاء التناسل أيضا فالمبيضان موضوعان في تجويف الحوض مثبتان جهة قاع الرحم باربطة خاصة بهما وهما الرباطان العريضان والرباطان المبرومان وقنواتهما الناقلة لا تكون متصلة بهما في الانسان بل ان صوانيهما المتسمين الموشحين بشرا فانهما يرتكزان على المبيضين لقبول البويضة الخارجة منه في أزمنة معلومة . ويتركب المبيض في الانسان والحيوانات

الثدية من نسيج خلوي يوجد منتشرا فيه الياف عضلية ملساء حاوية لعدد عظيم من الاوعية الدموية والاعصاب والاوعية اللينفاويه وهو مغلف بغشاء خاص به وبوريقة رقيقة من البريتون مغطاة بطبقة خلوية بشرية بلاطية الشكل • ويحتوي المبيض فى نسيجه القشرى على حويصلات ذوات أحجام مختلفة تسمى بحويصلات جراف موجودة في جوهره القشري البالغ سمكه مليا واحدا من المتر الى مليين منه (والملي هو جزء من ألف جزء من متر كقطر شعرة عادية) ويسمى أيضا بالنسيج المولد للبويضات وأما الجزء المركزي للمبيض المسمى بالبصلى فيكون لمعظم حجم العضو ويتركب من نسيج خلوي ونسيج عضلى أملس وأوعية وأعصاب لكنه لايحتوى في باطنه على حويصلات جراف مطلقا • وحجم حويصلات جراف يختلف بحسب أطوار نموها عند الفتاة من زمن الولادة الى زمن البلوغ فتارة يكون قطرها اثنين من مائة ملى من المتر الى ثمانية مليات منه وتارة يكون قطرها واحدا الى عشرة منه وأما عددها فى كل مبيض فيصل الى ٣٦ ألفا

بحسب رأي المعلم هنلي في الاجنة في بطون أمهاتها وفي المرأة تنمو حويصلة أو اثنتان في كل شهر حتى يصل حجمها الى حجم الجوزة أو أكبر منه تقريبا ثم تنفجر وتخرج منها البويضة وتتركب كل حويصلة من حويصلات جراف من طبقتين احداهما ظاهرة ليفية متينة قليلة الاوعية تحتوى على حزم من الياف عضلية ملساء لها وظيفة عظمى في ميخانيكية خروج البويضة من حويصلة جراف أما الطبقة الباطنة فكثيرة الاوعية سميكة . وتحتوى حويصلات جراف في باطنها على البويضة وعلى سائل شفاف مصفر محتو على حبيبات عنصرية قابل للتجمد بالحرارة وبالكؤل وكذا يوجد فيها طبقة سميكة من خلايا تحيط بالبويضة تسمى بالغشاء الحبيبي

﴿ تكوّن حويصلات جراف وخروج البويضات منها ﴾

من المعلوم ان حويصلات جراف تكوّن العنصر المهم في المبيض لاحتوائها على البويضات التى تخرج منها بعد تمام نمو الحويصلات لانها في الابتداء تكون صغيرة جدا ثم تنمو شيئاً فشيئاً ولا سيما في زمن البلوغ لان البويضة تكون

واضحة فيه وكيفية نمو حويصلات جراف هو أن يتولد فى باطنها سائل يتراكم فيها يمددها فمن ذلك ترق جدرها لانها تصير كثيرة الاوعية بسبب الاحتقان الشديد الذي يحصل فى المبيض فى مدة الطمث فبذلك تبرز على سطح المبيض وتتمزق فيخرج منها سائل محتو على البويضة وهذه هى نهاية وظيفتها وبعد تمزق حويصلة جراف وخروج البويضة منها مع السائل والقرص الجرثومى تبدأ فى الالتحام شيئاً فشيئاً فيصير غشاؤها الباطن ضخما ثم ينثني الى الداخل فيحصر الدم المنسكب في باطنها الآتى من تمزق غشائها الوعائي وبهذه الكيفية تتكون الاجسام الصفراء التى تزول بالامتصاص بعد أربعة أشهر بحيث لا يبقي محلها الا أثر التحام خطي وتحصل هذه فى المرأة من وقت البلوغ الى زمن اليأس وفى بعض الاحيان يتأخر التحام حويصلة جراف فى الحالة التي فيها يحصل اخصاب البويضة وتثبيتها فى الرحم ونموها فيه ففي هذه الحالة يحصل احتقان وتورم فى حويصلة جراف المتمزقة بحيث يمكن مشاهدتها فى آخر الحمل بهذه الحالة وبهذه

الـكيفية تتكون الاجسام الصفراء الحقيقية

﴿ أزمنة خروج البويضة من حويصلة جراف ﴾

قد سبق أنا أوضحنا ان حويصلة جراف بعد تمام نموها تتمزق فتخرج منها البويضة في زمن البلوغ والطمث فيعلم من ذلك ارتباط هاتين الوظيفتين بعضهما ببعض ولا يشترط في تمزقها تقارب أحد النوعين أي الذكر والانثى بالآخر لانه شوهد تمزقها في الابكار اللاتي لم يقربهن ذكر لان البويضات شوهدت في البوقين فيهن وفي هذا فعلت تجارب في اناث الكلاب في زمن الشبق بعزلها عن الذكور ثم بعد مضي أيام قتلت وبحث عن أعضاء تناسلها فوجدت حويصلات جراف متمزقة والبويضات مارة في البوقين ومع ذلك فهذا لاينافي ضرورة تقارب النوعين في نمو حويصلة جراف وانفجارها لانه يعتبر سببا ثانيا بعد الطمث لنموها وانفجارها كما ثبت ذلك بالتجارب في الحيوانات بانفصال الذكر عن الانثي منها في مدة الشبق ثم بقتل الاناث والبحث عن أعضاء تناسلها وجدت حويصلات جراف تامة النمو فيها

بدون تمزق فعلم من ذلك ان تقارب النوعين يكون له دخل
مهم في نمو حويصلات جراف وفي تمزقها ومما يساعد على
ذلك جودة التغذية أيضا . (ففي النوع) الانساني تشاهد
حويصلة واحدة من حويصلات جراف تنمو وتتمزق في
كل دور من ادوار الطمث وأما في الحيوانات الثديية فنشاهد
عددا كثيرا من حويصلات جراف التى تصل الى تمام النمو
فى آن واحد فيها ولذا تلد كثيرا من الاجنة والحمل المزدوج
في النساء وكذا في الحيوانات يكون ناشئا من تمام نمو عدد
كثير من حويصلات جراف وتمزقه لان كل حويصلة
تحتوي كثيرا على بويضة واحدة وقليلا على بويضتين بطريق
الاستثناء * وقبل أن نتكلم على الطمث نورد كلاما يتعلق
بالبويضة فنقول (البويضة) عنصر شريف من العناصر الكافلة
لتكاثر النوع وهى تخرج من حويصلة جراف التى تم نموها
وتمزقت * وحجمها في هذا الوقت في الانسان والحيوانات
الثديية يكون مبدؤه من واحد من عشرة من المللى من المتر
الى واحد من خمسة من ذلك ثم تترك المبيض وتتجه جهة

الرحم بواسطة البوقين وفيه تنمو وتكتسب الاستحالات
المختلفة متى لقحت والغالب ان كل حويصلة من حويصلات
جراف تحتوي على بويضة واحدة ويندر وجود بويضتين في
كل حويصلة منها اما بيضـة الطيور فتكون عظيمة الحجم
لانها تعطي الكائن الجديد موادّ غذائية وهذا مخالف لما
تكابده بويضة الانسان والحيوانات الثديية التى تأخذ غذاءها
من العضو الذي تثبتت فيه عادة وهو الرحم * وتتركب تلك
البويضة من غشاء شفاف سميك جدا يسمى بالغشاء المحى ومن
مادة حيبية صفراء تسمى بصفرة البيض متضامة اجزاؤها
بعضها الى بعض بواسطة سائل لزج وبهذه الكيفية تكون
الصفرة كتلة نصف سائلة ويوجد في وسط الصفرة حويصلة
مستديرة في جوفها سائل شفاف تسمى بالحويصلة الجرثومية
قابلة للزوال بسهولة بحيث لا يمكن رؤيتها ولا بالنظارات
المعظمة ومع ذلك يقال ان المعلم كستي شاهدها في البويضة
بقطر واحد من ثلاثين جزأ من الملى الواحد وقد شاهد المعلم
(فجنر) في الحوصلة الجرثومية بقعة شفافة صغيرة محتوية على

كتلة صفراء حيبية سماها المعلم المذكور بالبقعة الجرثومية

﴿ الباب الثاني في الطمث ﴾

الطمث هو سائل دموي رحمي دورى يحصل للمرأة ويخرج من الفوهة الظاهرة لاعضاء تناسلها من وقت البلوغ الى سن اليأس الذي لا يحصل فيه تناسل أو هو نزيف رحمي فسيولوجي أي من وظيفة العضو دورى يطابق زمنه زمن تمام نمو حويصلة جراف وانفجارها أو جملة منها في أحوال نادرة . والطمث خاص بالانثي من نوع الانسان وبالانثي من القردة وقد شوهد أن بعض نساء القبائل البادية لا يحصل لهن طمث * ويحصل في أيام معلومة منتظمة وغالبا فى كل شهر مرة أعني من سبعة وعشرين يوما الى ثمانية وعشرين وقد يحصل بعد كل خمسة عشر يوما مرة عند بعض النسوة وأخرى بعد ستة أسابيع في أيام مختلفة من الشهر لا مع القمر ولا فى آخر الشهر كما كان يظن ظانون قبل تتبع النساء فى قرونٍ وقد اتينا على بيانه بابسط من هذا فى محله . ويحصل الطمث عند البنات فى سن البلوغ وهو ١٤ سنة في البلاد

الباردة وتسع فى البلاد الحارة ومع ذلك فهذا يختلف بحسب الاحوال الشخصية والقوة والضعف والحالة الصحية والمرضية والتغذية كثرة وقلة وقوة وضعفا والفصول والاقاليم لان سكان البلاد الحارة يتقدم الطمث فيهن على سكان البلاد الباردة * ومدة سيلان الدم تختلف فتارة تكون يوما أو يومين أو ثلاثة أو أربعة أو خمسة أو ستة أو سبعة وكل ذلك يتعلق بالاحوال التى ذكرناها آنفا وبحالة فقر الدم وغنيته * وكمية الدم التى تسيل فى كل مرة تختلف بحسب ما ذكر ومع ذلك فبعضهم قدرها فى الحد المتوسط ٢٥٠ جراما الا أنها قد تزيد أو تنقص عن ذلك * وانقطاع الطمث عند النساء تختلف مدته أيضا فتارة يحصل في سن ٤٥ سنة وتارة فى سن ٥٠ سنة ومع ذلك فقد شوهدت نساء يحضن ويلدن فى سن الستين والسبعين وان كان ذلك يعد من النوادر وفى هذا السن أى سن اليأس يتناقص حجم المبيض وتزول حويصلات جراف شيأ فشيأ من الطبقة القشرية * وذكر بعضهم ان الطمث يسبق باعراض عمومية كثقل في الراس

وألم في القطن وفى قسم الكلي وانحطاط في القوى وتغير في تقاسيم الوجه وتقاطيعه وفقد في شهوة الطعام واحتقان في الحلمات الشديبة وتورمها وكذا أعضاء التناسل * وأول سائل يسيل من فوهة الفرج يكون مخاطيا فيه دم قليل ثم يصير أحمر كثيرالدكنة وفى الانتهاء يكون كما كانفي الابتداء ويحتوي علي مادة مخاطية كثيرة اللزوجة أو قليلتها ويندر حصول حركة حمية قبل الطمث * ومتى بحث عن دم الحيض بالمكروسكوب (١) يرى تركيبه كتركيب بقية كتلة الدم الدائر فى تيار الدورة وانما يخالفه بقلة ليفيته ولا حتوائه علي خلايا مخاطية وبشرية آتية من الرحم والمهبل وهذا هوالسبب فى كون جلطتهالدموية تكون قليلة المتانةودم الحيض يحتوي علي كراته وجميع عناصره لانه آت من تمزق أوعية الغشاء المخاطي الرحمى الذي يحتقن احتقانا شديدا مدة الطمث

---

(١) هو منظار يمكن الاستعانة به على رؤية المبصرات بان ندرك منها مالا يمكن ان يدركه البصر من غيره فاذا نظرت بواسطته فى هطة ماء وجدت فيها عدة حيوانات لاتدرك واحدامنها بالبصر من غيره اه منه

ويكون الطمث مرتبطا ارتباطا متينا بنمو حويصلة جراف وتمزقها بطريقة دورية وكذا بالتنوعات المخصوصة التي تحصل في الاعضاء التناسلية الباطنة للمرأة * وسبب سيلان دم الحيض بطريقة دورية الاحتقان الدموي الشديد الذي يحصل في المبيضين وفي الرحم ومن ذلك تنمو حويصلة جراف وتنفجر والذي يساعد على ذلك وجود الضفائر الوريدية بقرب الفوهات البوقية القريبة من قعر الرحم التى تتصل بالضفائر المبيضية وهذه الضفائر يرد اليها دم غزير بواسطة عدد كثير من الشرايين ذوات السير الحلزوني وأما الدم الوريدى فتحصل له عاقة في سيره ورجوعه جهة العضو المركزى للدورة بسبب انقباض الطبقة العضلية الملساء الموجودة في الرحم وفي المبيض وفي البوقين وحول الضفائر الوريدية المتقدمة واما الدم الشرياني فيستمر في سيره بدون عائق فمن ذلك تحتقن هذه الاعضاء احتقانا شديدا وبذا تنشل جدر أوعيتها الشعرية وخصوصا أوعية الغشاء المخاطى الرحمى التى تتمزق ويسيل من فتحات منها مكروسكوبية دم غزير ويصحب هذه

الظواهر انفصال البشرة المخاطية الرحمية وهذا الانفصال يبقى في حدود فسيولوجية عند عدم الاخصاب وأما في الحالة التى فيها تخصب البويضة وتثبت في الرحم فيتكوّن من البشرة المخاطية تولدات مخصوصة لتغذية البويضة نذكرها فيما بعد وفي بعض الاحيان ينقطع الطمث فلا يسيل الدم من أعضاء التناسل وذلك لاسباب عديدة ولذا يري في هؤلاء النسوة سيلان دموي من محالّ أخري كالنزيف الانفي والرئوي والمعوي وينقطع الطمث متى حصل الحمل وفى مدة الرضاعة ومع ذلك فبعضهم شاهد نساء يحضن وقت الرضاعة ولا يوجد الطمث عند النساء اللائى فقدن المبيض فقداً خلقياً والذي يؤكد لنا ذلك هو عدم وجود الطمث وعدم الحمل عند النساء اللائى فقدن المبيض فقداً عملياً أي بواسطة عمل جراحي

﴿ دخول البويضة فى البوق ومرورها فيه ﴾

قد سبق انا ذكرنا ان القناة التى تمر فيها البويضة لتصل الى الرحم تسمى بالبوق وهذه القناة لا تكون متصلة بالمبيض

في النوع الانساني والحيوانات الثديية كما في الحيوانات الغير الفقارية فالبوق هو قناة متعرجة طولها من عشرة سنتيات الى اثنى عشر سنتيا من المتر متصلة بالرحم الذى تنفتح في قعره بفتحة صغيرة قطرها نصف ملى من متر وهذه الفتحة تتسع شيئا فشيئا من جهة الرحم نحو المبيض وتنتهي بقمع ذي شرافات احداها أطول من الاخري يتثبت بها على سطح المبيض وأحيانا يوجد بجوار الصوان الاصلي عدة شرافات ثانوية صغيرة مجتمعة في نهايته يظهر انها منوطة بإتمام الوظيفة الخاصة بها وهى القبض على البويضة لتوصيلها للرحم * فمتى وصلت حويصلة جراف الى نهاية نموها بتزايد السائل المنفرز فى باطنها تتمزق فتخرج منها البويضة وفى هذا الوقت يري ان البوق وخصوصا صوانه يحتقن بالدم وبذلك يرتكز على المبيض فى المحل الموجود فيه الحوصلة الآئلة الى الانفجار بحركة عضوية ديدانية ينتجه الفعل المضلى للبوق فيلتقطها ليوصلها الي الرحم * وقد أنكر بعضهم انطباق صوان البوق على المبيض للقبض على البويضة قائلا انه يوجد على سطح

المبيض اهداب مهتزة متحركة وخصوصا في الرباط الضام للبوق مع المبيض وهذه الاهداب بحركاتها الخاصة بها تعين على نقل البويضة ووصولها الي صوان البوق وشرافاته وهذه الاهداب تتولد وقت الطمث وتزول بعده لانها غير دائمة فالبويضة وقت خروجها من حويصلة جراف تجذب معها سائل هذه الحويصلة الذي يخدمها كالحامل لها وكذا كتلة الخلايا المحيطة بها وهذا السائل يساعد حركات الطبقات اللحمية المسماة بالحركات الديدانية على وصول البويضة الى البوق ومتي دخلت فيه تسري كما تسرى السوائل فى البلعوم والمرئ وقت الازدراد وفى هذا الوقت يكون قطر البويضة واحدا من عشرة من ملى من متر الى واحد من خمسة منه وتستمر في سيرها ببطء جهة الرحم بمساعدة الاهداب الاهتزازية المتمتعة بها قناة البوق . والزمن اللازم لمرور البويضة في البوق لكى تصل الى الرحم غير معروف على الحقيقة لانه بامتحان البوقين عند النساء المتوفيات مدة الطمث ما أمكن مشاهدة البويضة في البوق الا فى أحوال قليلة جداً ومع ذلك فالتجارب

التي فعلت في الحيوانات في هذا الشأن تعطينا نتائج تقريبية يمكن تطبيقها على النوع الانساني ومن المحقق أن مرور البيضة عند الطيور في الاجزاء المختلفة من البوق يكون بطيئا لانها في هذا الزمن تتغلف بطبقتها الزلالية وبغلافها القشرى الكلسي لانها عند خروجها من المبيض لا يوجد فيها الا المح وغلافه فيعلم من ذلك انه يلزم لها زمن كاف لمكابدة ماذكر حتى تصل للمجمع قدّره بعضهم من ٢٤ ساعة الى ٣٦ ساعة

وفى الانسان والحيوانات الثدييه تكابد البويضة حال مرورها فى البوق أحوالا شبيهة بالاحوال السابقة فتحاط بطبقة زلالية ويحصل فى باطنها تغيرات مهمة وخصوصا متى أخصبت بحيث انها متى وصلت الي باطن الرحم تكون مستعدة للنمو وقدّر بعضهم مدة مرور البويضة فى البوق في الكلاب والارانب والنعاج من أربعة أيام الى ثمانية وهذا التقدير تقريبي لانهم شاهدوا البويضات في هذه الحيوانات في محال مختلفة من البوقين لكن المعروف عندنا من التشريح للانسان والحيوان الذي يسمونه بالتشريح المتقابل ان مرور

البويضة في البوق يكون بطيئا جداً نظرا للاستحالات الاولية التي تحصل فيها لتمام أخصابها

﴿ الباب الثالث في المني المعبر عنه بالسائل المنوي ﴾

المني هو السائل الكثيف المخصب المتكون في الخصيتين وهو العنصر التناسلي الذى للذكر كما ان البويضة هى العنصر التناسلي الذي للانثي فتكون الخصية في الرجل بمنزلة المبيض فى المرأة وهذه الاعضاء لاتتم وظائفها في سن الطفولية فى النوعين ومتى وصل الصبي الى سن البلوغ تنمو الخصيتان بطريقة سريعة ويحدث افراز المني ايقاظ حاسة جديدة وهى شهوة الجماع وينشأ أصل المني من دم يخرج من القلب فيمر في الشريانين المنويين الآتيين من الشريان الاورطي البطنى أسفل منشأ الشرايين الكلوية بقليل غالبا واحيانا ينشأ من الشرايين الكلوية وهو نادر وهذه الشرايين بعد منشأها تمر نازلة نزولا عموديا الى أسفل خلف البيريتون أي غشاء البطن امام العضلة الابوسواسية والحالب فيكون مروره بين الصلب والترائب ثم متى وصلت الى الجزء السفلى من البطن تدخل

فى الفتحة الباطنة للقناة الآورية وبجانبها القناة الناقلة للمني مكونة فى هذا المحل مع الاوردة المنوية الحبل المنوي الواصل الى الخصية وهناك يتفرع فرعان أحدهما للبربخ والثاني لنسيج الخصية وهذا الاخير يمر في الطبقة الغمدية ويعطيها فروعا لتغذيتها وينتهى فى الجوهر الخاص للخصية ومتى ابتدأت الخصيتان فى افراز المني فى الرجل تستمر بدون انقطاع وانما تتناقص شدة افرازها بالتقدم فى السن ويتناقص الميل الى الجماع تدريجا ويستمر افراز المنى مدة الحياة حتى في الشيخوخة المتقدمة ويكون متمتعا بجميع عناصره حتي الحيوانات المنوية لان بعضهم شاهد في مباحثه ومشاهداته عددا كثيرا من الشيوخ فى سن الستين والثمانين ان منهم كان يحتوي على حيوانات منوية فى ثلاثة أرباع الاحوال وينفرز المني من الخصيتين الموضوعتين في الصفن وهما مغلفتان بغلاف ليفى متين وهو الطبقة البيضاء ذات المستطيلات أو الصفائح الخلوية التى تقسم باطن كل خصية الى عدد كثير من المساكن التي هى غير كاملة وبهذه الكيفية يتكون هيكل الخصيتين

الذي تدور فيه الاوعية والاعصاب الخاصة بهما فجوهر الخصيتين الخاص بهما يوجد محصورا فى المساكن المتقدمة وهو مكون في القنوات المنوية ذوات الشكل الاسطواني وقطرها واحد من عشرة من ملى من متر وهي متشبكة بعضها ببعض ومكونة بلفائفها فى الخصيتين لفصيصات بقدر عدد المساكن وهى الانابيب وعددها فى كل خصية ألف انبوبة تقريبا وتكون ملتصقة بعضها ببعض بواسطة نسيج خلوى هش رقيق جدا بحيث يمكن انفصال بعضها عن بعض وجدرها رقيقة جدا ومغطاة ببشرة بلاطية أي كثيرة السطوح ويمكن حقنها بالزئبق لان جدرها كثيرة المرونة بحيث يزداد قطرها حتى يصل الى ثلاثة أجزاء من ألف جزء من الملى وعدد الفصيصات في كل خصية من ثلاثمائة الى أربعمائة كل واحد منها يحتوى على انبوبتين أو ثلاث منعرجات منعطفات على نفسها وتنتهى من احدى جهتيها بقعر كيس ومن الجهة الاخرى تجتمع بقنوات الفصيصات المجاورة وبعد خروج هذه القنوات من الفصيصات تتجه نحو الحافة الخلفية للخصية

التى فيها تجتمع جميع الحواجز الخلوية وفى هـذا المحل تصير قليلة الانعراج والانعطاف وتتضام بعضها مع بعض ويقـل عددها وانطارها وتأخذ اسم القنوات المستقيمة التى تثقب الطبقة البيضاء ويخرج منها عشر قنوات أو اثنتا عشرة قناة فقط تسمي بالقنوات الخارجة التى يتكون منها البربخ الذى ينتهي بقناة مخرجة وحيدة في كل خصية تسمي بالقناة الناقلة وهاتان القناتان تصعدان جهة البطن بعد مرورهما فى القنوات الاوربية ثم تصلان الى الجهتين الجانبتين اللتين للمثانة وتتحدان بالقنوات المخرجـة للحويصلات المنوية و ينفتحان في الجزء البرستتى الذى لقناة مجرى البول باسم قنوات قاذفة ويوجد نحو اللفائف الاخـيرة التى لذيل البربخ مستطيل ذو شـكل أعورى يدل على الاثر الباقي من المسمي باجسام ولف وهي تنفتح في أصـل القناة الناقلة ولها افراز مخصوص يضاف الى المنى ومن المعـلوم ان الخصيتين لاتكونان موضوعتين فى الصفن فى الابتداء بل تـكونان موضوعتين فى البطن علي الجهتين الجانبتين المـكتنفتين للعمود الفقرى القطنى وهناك

تنمو الى الشهر السابع من الحياة الرحمية ثم تنزل ذاهبة نحو الصفن مهتدية منقادة بحبل ليفي تحت البريتون ملتصق من احدى الجهتين بالخصية ومن الجهة الاخرى بالقناة الاوربية وهذا الحبل يسمي بدفةهنتروالوقت الذى فيه تصل الخصية الي الصفن تارة يقارن زمن الولادة وتارة لايقارنه بل يكون بعـده وتارة احدى الخصيتين تنزل فى الصفن والاخرى تبقى فى البطن أوفي القناة الاوربية مدة الحياة وتارة أخرى تبقى الخصيتان في تجويف البطن أوفي القناة الاوربية وحينئذ لايحتوى سائلها المنوى علي حيوانات منوية ولا يخصب البويضة ويصير الرجل عقيما

(أوصاف المنى) المنى سائل كثيف مبيض خيطي القوام كزلال البيض قليل القلوية ذو رائحة مخصوصة تشبه رائحة البيلسان أو طلع النخل ومتى جفف على الحرارة يفقد تسعين جزأ من الماء ولا يبقى الا عشرة أجزاء من مائة جزء مكون من مواد عضوية صفراء شبيهة بالمواد القرنية ومن ثم اذا وضعت علي الفحم المتقد يظهر منها رائحة القرون المحروقة ويبقي بعد

حرقها فضلات ملحية قليلة جداوالمواد العضوية الموجودة في هذا السائل أطلق عليها اسم المنين وهو مادة شبيهة بالمواد الزلالية لكنها تخالفها لكونها لاتتجمد بالحرارة بل تتجمد بالكؤل ومتى وضع هذا على الحرارة وأضيف اليه «البوتاسا» يذوب ثانيا ومتى أضيف حمض الازوتيك على هذا المخلوط لا ترسب مادة المنى العضوية مثل الزلال ويظهر ان مادة المني العضوية لاتوجد فيه الا بعد البلوغ وهي التى تكوّن الحيوانات المنوية وبعضهم حلل السائل المنوي فوجده كالمبين في الجدول الآتي

جزء	
٩٠	ماء
٠٦	منبين
٠٣	فسفات كلسية املاح
٠١	صودا
١٠٠	تلك مائة

أما السائل المنوي الخارج من قناة مجري البول فيكون

متضاعف التركيب لانه يحتوى على مواد افراز الحوصلتين المنويتين والبرستتا وغدد كوبروغددليترى ومخاط قناة مجرى البول والغالب على الظن ان سوائل هذه الافرازات تساعد على اسالة المنى ليسهل تدفقه الى الخارج * ومتى بحث المني الخارج من قناة مجري البول بواسطة الميكرسكوب يشاهد فيه عدة خيوط متحركة بقوة وقد شاهد هذه الحركة بعض الاطباء سنة ١٦٧٧ من ميلاد عيسى عليه السلام وهذه الخيوط أعطيت اسم الحيوانات المنوية وسميت به وهي مركبة من جواهر متجانسة ومتى بحثت القنوات المنوية يشاهد فيها خلايا بشرية مختلفة الحجم وهي التى تولد الحيوانات المنوية ويشاهد فيها أيضا حبيبات عنصرية وصفائح بشرية منفصلة من جدر القنوات المخرجة ومن قناة مجري البول فالحيوانات المنوية تنمو فى باطن الخلايا المتقدمة بحيث ان كل عدد من الخلايا الصغيرة يتولد فى الخلية الام وكل واحدة منها تصير حيوانا منويا متى تم نموها فالرأس يتكون من نواة الاسپرماتوبلست والذنب يتكون من الخلية نفسها وبهذه

الكيفية تتكون الحيوانات المنوية داخل الخلية الام بحيث انها
تكون صفوفا فرأسها موضوع في جهة وذنبها في جهة أخري ولا
تتباعد حزم الحيوانات المنوية ولا تتفرق الا متى وصلت الى البربخ
وشوهدت الحيوانات المنوية في القناة الناقلة وفى الحويصلة
المنوية وهذه الحيوانات تفعل حركات ثعبانية سريعة فى السائل
المنوي مبتدأة من جهة الرأس التى قطرها خمسة أجزاء من
ألف جزء من ملى من متر وأما طول الذنب فخمسة أجزاء
من مائة جزء من الملى من متر وبحركتها هذه تقطع مسافة
قدر طولها بثلاث ثوان وهذه الحركة تستمر بعد موت
الحيوان الحامل لها أربعا وعشرين ساعة ومتى قتل الحيوان
فجأة تستمر حركتها الى مضى خمسة أيام أو ستة ومتى نقلت
الي أعضاء تناسل المرأة تستمر متحركة زمانا طويلا لان
بعضهم شاهد الحيوانات المذكورة تتحرك فى الارنب بعد
اجتماعها بالذكر الي أسبوع وأما اذا عرض السائل المنوى
للهواء فحركة الحيوانات المنوية لا تشاهد الاساعات متى
كانت حرارة الجو كحرارة الحيوان وتفقد الحيوانات المنوية

حركاتها متى أضيف اليها الماء أو أثر فيها برد الهواء وكذا الحرارة المرتفعة والحوامض والقلويات والافيون والاستركنين والصفراء وكذا تأثير بعض مخاط مهبلي يكون كثير الحمضية أو كثير القلوية في بعض النساء وتحفظ الحيوانات المنوية حركاتها في البول كما هي في الهواء * والسائل المنوى في الانسان يحتوى دائما على حيواناته المخصبة في الاحوال الصحيـة من ابتداء البلوغ الي سن الستين سـنة أو الثمانين وأما السائل المنوى في الحيوانات فلا توجد حيواناته فيها الا في زمن الشبق لان نمو الخلايا المولدة للحيوانات المنوية يقف بعد هذا الزمن وفى بعض الاحيان لا يتكون السائل المنوى في الحيوان الا وقت اجتماع الذكر بالانثى كما في الـكلاب ونحوها * وافراز السائل المنوى يكون بطيئا جـداً وكذا سـيره في قنوات الخصية المنوية وفى البربخ وذلك نظراً الى لزوجته وفى أحوال الفقد المنوى يرى ان هذا السائل يحتوي على حيوانات منوية قليلة وما نشأ ذلك الا من عدم وجود الزمن الـكافى الـكافل لتولد الحيوانات المنوية

﴿ انتصاب الاحليل فى الرجل ﴾

يتصف انتصاب الاحليل في الرجل بزيادة حجمه وقوامه وتغير اتجاهه وبذلك يسهل ايلاجه فى أعضاء تناسل المرأة لوصول السائل المنوى المنوط بالتلقيح الى قعر المهبل ومنه الي الرحم وله وظيفة أخرى وهى تصيير أعضاء تناسل الذكر والانثى ذوات احتقان شديد حتي تزداد بذلك حساسيتها بانطباق بعضها على بعض فيزيد الاحساس الملذ للجماع فى النوعين * ويتركب النسيج الانتصابي فى الرجل أولا من نسيج اسفنجي يكون وحده معظم كتلة الاحليل وهو مكون أولا من الجسمين المجوفين المرتبطين من الخلف بالفرعين الصاعدين الى الورك والنازلين الي العانة وهذان الجسمان يكونان منفصلين بعضهما من بعض من الامام بحاجز غير كامل وثانيا من النسيج الاسفنجى الذى لقناة مجرى البول وهو نسيج انتصابي ذو صفائح رقيقة جداً يكوّن حول قناة مجرى البول غلافا لها كاملا بحيث يكون ملتصقا بها التصاقا متينا ويوجد فى الجزء الاسفنجى الذى لقناة مجرى البول من

الخلف انتفاخ يسمى بالبصلة ومن الامام انتفاخ آخر يسمى بالحشفة * وقد أثبتت المعارف التشريحية ان الاجسام المجوفة التي للاحليل والجزء الاسفنجي الذى لقناة مجرى البول تكون مكونة من صفائح من نسيج ليفى مرن صلبة في باطنها الياف عضلية ملساء بحيث تكون حواجز غير منتظمة تحيط بتجاويف مستطرقة متصل بعضها ببعض وتتصل بالاوردة من جهة وبالاوعية الشعرية الشريانية من جهة أخري وهذه الاخيرة متى وصلت الى النسيج المجوف تنقسم وتتثبت على صفائحه الرقيقة منتهية بشكل قمع لتصب دمها في الخلايا المجوفة فبهذه الكيفية يكون النسيج الانتصابي نوعا مستودعا بين المجموع الشرياني والمجموع الوريدي يقبل فى وقت من الاوقات كمية عظيمة من الدم وبهذا يزداد حجم العضو الموجود فيه هذا النسيج الى حدود معلومة نظراً الى مرونة صفائح النسيج الانتصابى وهذه تحصل كلما كان رجوع الدم بالاوردة نحو القلب بطيئا أو حصل عائق فى سيره مع استمرار ورود الدم الشرياني الساعد بالتوتر الدموى وهذه هي كيفية انتصاب

الاحليـل قد ذ كرناها بالاختصار تفاديا من الا كثار (أما) أسباب الانتصاب فهى كثيرة منها ملامسة المرأة ثم التنبه الميخانكى الذى لحشفة الاحليـل ثم قراءة الاشـياء الخاصة بالجماع ورؤيته والاستلقاء على الظهر فى النوم وامتـلاء المثانة أو وجود حصوات فيها * (ومنشأ الانتصاب يلزم أن يكون فى المجموع العصبي وحصوله بالافعال المنعكسـة التى أصـل منشئها إما في التصور أو على سطوح الجسم الحساسة ولذا كان تنبيه الحشفة يحدث الانعاظ والانتشار * ويحصل الانتصاب من تجمع الدم بين صفائح النسيج الانتصابى الذى للاحليل * فأولا من التمدد الذى يحصل في الشرايين الصغيرة الناتج من شلل جدرها * وثانياً من عوق سير الدم الوريدى نحو القلب وحبسه الذي لايكون كلياً ولهـذا العائق أسباب أولهـا انقباض الالياف العضليـة الملساء الداخـلة فى تركيب صفائح النسيج الاسفنجى وثانيها انقباض الالياف العضليـة الملساء المبطنة للصفاق العجانى المتوسط لان أوردة الاحليل تمر في ثقوب موجودة في هذا الصفاق وثالثها انقباض العضلة

الوركية المجوّفة والعضلة البصلية المجوّفة * وقد جرب بعضهم للتحقق من الانقباض العضلي لكل من صفائح النسيج الاسفنجي وصفاق العجان المتوسط فقتل حيوانا ثم وضع قطبي عمود كهربائي على احليله فشاهد حصول الانتصاب ببطء وزواله ببطء أيضا وحقن بعضهم أوعية الاحليل على الجثة الرمية فشاهد انتصاب هذا العضو بطريقة واضحة * (فينتج) مما ذكر أن الانتصاب يحصل أولا من تمدد الشرايين الصغيرة وثانياً من انقباض العضلات الملساء الداخلة في تركيب الجهاز الانتصابي الذي للاحليل واما عضلات العجان فيحصل انقباضها بعد ذلك لصيرورة الانتصاب كاملا ولا سيما قبيل القذف لان العضلة الوركية المجوفة تندغم من جهة في الوجه الانسي الذي للحدبة الوركية ثم تتجه الى جهة جذور الاجسام المجوفة وتتصالب مع عضلة الجهة الاخرى تحت البصلة فيكون منهما صليبان وأما العضلة البصلية المجوفة فتنشأ من المضرط العام للعضلة العاصرة وللمستعرضة للعجان ثم تحيط بالاحليل وتنتهي بالقرت من رباطه المعلق وهاتان العضلتان تؤثران

فى البصلة عند انقباضهما بالضغط عليها بحيث يطرد ان الدم الى جهة الحشفة والذي يساعد على ذلك أيضا هو انقباض العضلة العاصرة الظاهرة والمستعرضة للعجان لانهما بانقباضهما معا يعطيان صغرا ثابتاً للعضلة البصلية المجوفة وبذلك يساعدان على انتصاب الاحليل فى الرجل ويحصل الانتصاب فى المرأة بواسطة جهاز انتصابي شبيه بجهاز الرجل لانه يتركب أولا من البظر الموضوع في الجزء العلوى للمهبل المشابه لاحليل الرجل مشابهة تامة الا انه يتميز عنه بفقد قناة مجرى البول فيه التي تنفتح في المرأة تحته وهذا العضو يكون مغطى بالشفرين الصغيرين بحيث يكونان له شبه قلفة وثانيا من بصلة المهبل الموضوعة في فتحته تحت أصل الاجسام المجوفة للبظر وهي تقابل بصلة قناة مجري البول في الرجل وبما انهاموضوعة بين جزوى البظر وقناة مجري البول ترسل مستطلات من كل للمهبل تنزل الى أسفل وبهذه الكيفية تكون حول فوهة الفرج وفى سمك الشفرين العظيمين وسادة منتصبة تحيط بالاحليل وقت الجماع * وميخانكية الانتصاب في المرأة

تحصل كما في الرجل بلا فرق بتمدد الشرايين الصغيرة التي للاجسام المجوفة للبظر وشللها وباتقباض الالياف العضلية الملساء التى تضغط على الاوردة الراجعة من البظر والذي يساعد ذلك انقباض العضلة المجوفة أى العاصرة للمهبل لانها متى انقبضت تضغط على البصلة فتحدث احتقان البظر وانتصابه فيزداد حجما وقواما الا ان اتجاهه لا يتغير وانما يزيد بروزه من أسفل جهة فوهة الفرج فهناك يتلامس هو والاحليل وقت الجماع (والانتصاب) فى الرجل وفي المرأة لا يعتبر شرطا للاخصاب مهماً فقد حصوله مع عدم الانتصاب في الرجل وفي المرأة وانما الفرق ان حصوله فيها يعطيها اشتياقا للقرب من الذكر لضرورة تكاثر النوع

﴿ الباب الرابع في الجماع ﴾

الجماع هو تقارب النوعين الذكر والانثي لاجتماع عنصري التناسل البويضة والسائل المنوي وامتزاج بعضهما ببعض ولاجل الوصول الى هذه الغاية يولج الاحليل المنتصب فيّ أعضاء تناسل المرأة فالمهبل ينطبق عايه مهما اختلف حجمه

وقوامه والذى يساعد انزلاقه ودخوله فى المهبل هو الافراز
المخاطى الآتى من غدد برتولينى التي تشبه غدد كوبر في الرجال
وهى موضوعة على الجهتين الجانبتين للمهبل والفرج في النسيج
الخلوى لارض العجان وتنفتح في الجهتين الجانبتين بقنوات
مخرجة خلف فتحة الفرج بسنتى واحد من متر تقريباً وهى
تفرز سائلا لزجا خيطياً شبيها باللعاب له رائحة مخصوصة تهيج
شهوة الجماع في الرجل وافراز هذه الغدد يكون غزيراً متى
نبهت أعضاء التناسل فى المرأة وفي بعض الاحيان يخرج من
قنواتها المخرجة سائل الافراز على هيئة نافورة بسبب الانقباض
التشنجى الذى لجدر هذه القنوات كما يحصل عند بعض
الاشخاص فى قنوات الغدد اللعابية عند رؤية الاطعمة
ذوات الطعم اللذيذ وهذه تسمى بالدفع في المرأة الا ان
هذا السائل لا يشبه السائل المنوى للرجل لانه يسبق
الجماع ولا ينهيه أى لا يبلغ نهايته فحينئذ يمكن أن يعتبر
مختصا بتندية المهبل ليسهل ايلاج الاحليل فيه وبتلطيف
الاحتكاكات الحاصلة من هذه الحركات وفى مدة الجماع يحصل

في المرأة انقباض في جميع عضلات العجان يصحبه خروج سائل صاف لزج من عنق الرحم يمكن ان يعطى اسم الدفق في المرأة ويسمى به وهو آت من انقباض الرحم وهذا السائل ينتشر في المهبل ويعتبر انه هو الصواغ للحيوانات المنوية بالضرورة لانه يوصلها بسهولة الى مدخل عنق الرحم واما في الرجل فيحصل انقباض في المسالك المخرجة للمني وفي جميع عضلات العجان بواسطة الفعل المنعكس ومن ذلك يحصل الدفق * والاحساس باللذة وقت الجماع لا يكون ضروريا للعلوق لانه شوهد من النساء من حملت بدون أن يحصل عندها أدنى اضطراب أو احساس ملذ وكذا الرجل يمكنه أن يدفق السائل المنوي بدون ان يستشعر بالاضطراب العصبي الذي يصحبه * نعم ان الثوران الشهواني يكون على الحقيقة أحد أسباب التناسل بالضرورة والحيوانات تستشعر بهذا الاحساس بطريقة شديدة ترى الهوام عند التسافد يستمر الذكر منها مولجا ذكره في الفرج زمنا طويلا ولو وخز جسمه بآلة أو قطع بعض أعضائه كالضفادع فيظهر في هذه الحالة

فى هذه الحيوانات ان القوة الالهامية الخاصـة بحفظ النوع
تزايدت تزايدا كليا وان القوة الخاصة بحفظ شخصه قدزالت
وأول جماع البكر من النساء يكون عادة مؤلما لانه يوجـد
عندها خلف الشفرين الصغيرين غشاء غير كامل يسمونه بغشاء
البكارة الذي يسد جزأ من فتحة المهبل فهذا الغشاء يتمزق
ويحصل من ذلك نزيف خفيف وألم زائد بسبب تمنع هـذا
الغشاء بالاوعية والاعصاب وبعد تمزق هـذا الغشاء تنكمش
اهدابه وتصير كثيفة وتسمى حينئذ بالحلمات الاسية * وشكل
غشاء البكارة يكون عادة هلاليا فتحته متجهة الى أعلى جهـة
الصماخ البولي وأحيانا يكون على هيئـة حجاب مثقوب من
الوسط بفتحة أو فتحتين أو فتحات ويـندر ان يكون غـير
مثقوب أصلا بحيث يسد مدخل المهبل سدا تاما * ثم غشـاء
البكارة يكون في الغالب ضعيفا غير متين بحيث انه يتمزق من
أدنى مجهود وقد يكون غشاء البكارة مرنا بحيث يمكن تمدده
بدون ان يتمزق وقد يكون متينا قويا بحيث يحتاج من يعـاني
فتحه الى مبضع أي مشرط يثقبه به * ووجود غشاء البكارة

لا يكون دائما علامة مطردة على حفظ شرف البنات الابكار ببقاء بكارتهن لانه قد يكون مرنا فيفسح ويسمح للاحليل أن يدخل بدون أن يتمزق وقد شوهدت أبكار حوامل حافظات لغشاء بكارتهن وذلك ناشئ من قرب الذكر من الانثي بطريقة غير كاملة بحيث ان السائل المنوي يكون قد لامس الفوهة الطبيعية لغشاء البكارة * وعدم وجود غشاء البكارة لا يدل على حصول الجماع لانه يمكن تمزقه بدخول أي جسم غريب غير الاحليل ويندر تمزق هذا الغشاء بتباعد أحد الفخذين من الآخر قهراً وبركوب الخيل وبالرقص وبغيرها

﴿ الدفق ﴾

يحصل الدفق بانقباض القنوات الناقلة والحويصلات المنوية والقنوات القاذفة وفي الغالب بانقباض البربخ أيضا ويساعد ذلك انقباض عضلات العجان وعضلة ولسن وعضلات الصفن وهو غير ارادى بل هو قسرى قهرى لانه يحصل عقب فعل منعكس متى وصل تنبيه الحشفة الى الحد الاخير من حدود تنبهها * وقد أثبت بعضهم قابلية انقباض القنوات

الناقلة فى الحيوانات المقتولة حديثا بالتنبيه الجلوانى لاعصابها الآتية من العصب العظيم السمباتوى القطني والتنبه الجلواني أى الكهربائي وهو ما يحصل بواسطة استعمال الآلة الكهربائية المغناطيسية التى اخترعها جلوان وكذلك بتنبه النخاع الشوكي واما القنوات القاذفة فتعتبر موصلة للمني فقط والذى يثبت ما قلناه هو مشاهدة حصول الدفق فى أحوال الشنق وذلك من الضغط الشديد الواقع على النخاع المستطيل والشوكى وقد شوهد المني خارجا من قناة مجرى البول فى الاشخاص الذين ضربت أعناقهم نظرا الى اقباض مسالك خروجه بسبب التنبيه العصبي الواصل اليها من قطع النخاع الشوكى ويمكن اعتبار الحويصلات المنوية كحياض غددية لتخزن السائل المنوى فيها من جهة وتفرز سائلا مخصوصا يمتزج بالمنى مع سائل البرستتا وسائل غدد كوبر والمخاط المجرى من جهة أخرى فكل ذلك يعين على تندية قناة مجرى البول واسالة المني لسهولة خروجه وقت القذف وفي بعض الاحيان تخرج السوائل المتقدمة قبل القذف على هيئة سائل شفاف غير مخصب ممتى

حصل تنبه في الاحليل وهذا ما يسمي بالمذي وهو معروف
وفي مدة راحة الجهاز التناسلي في الرجل يرى ان السائل المنوى
يمر من الخصيتين الى الحويصلات المنوية بواسطة الحركات
الديدانية التى للجهاز الناقل المساعد بتزاحم جزئيات السائل
بعضها مع بعض وقت القذف فتدخل فواعل أخرى فى الفعل
كعضلات العجان وغيرها حتى ان المني من شدة القذف يرتفع
الى أعلى نحو نصف متر تقريبا * وفى مدة القذف لا يسيل
البول الى الخارج من المثانة بسبب انغلاق عنقها بعضلته
العاصرة ولا سيما ان كان الاحليل منتصبا والذى يساعد ذلك
هو البروز الموجود في الجزء السفلي البرستتى من قناة مجرى
البول المسمى بالعرف المجرى أو الارتفاع الجبلي * وفى الحالة
الاعتيادية لا يسيل المني مع البول وقت التبول ولو كان ذلك
مصحوبا فى الانتهاء بانقباض عضلات العجان فذلك يدل على
ان المسالك المنوية يكون لها دخل في القذف مهم ومع ذلك
فقد شوهد فى الاشخاص الذين لا يفرطون فى الجماع ان
انقباض عضلات العجان منهم يحدث غالبا في آخر التبول وفى

مجهودات التغوط خروج سائل مخاطي ممزوج بمني آت من الحويصلات المنوية * ومتى تكرر الدفق ووقع مرات كثيرة في مدة قصيرة يرى ان السائل المنوى يحتوى على حيوانات منوية قليلة وكثيرا ما توجد فيه حزم من حيوانات منوية ملتصقة بالخلية الأم غير تامة التكوين *

﴿ الخنوثة أي الهرمافرودسم ﴾

الخنوثة هى وصف من اجتمع فيه عضو الذكر وعضو الانثى وكما يكون في الانسان يكون في النباتات وفى الحيوانات التي لافقار لها وهى تارة يلقح بعضها بعضا وتارة تلقح نفسها وفى الانسان تشاهد أحيانا دوال خنوثة ظاهرية من فرج متصل بقناة باطنة وهى المهبل مع وجود الخصيتين والاحليل ومع عدم وجود الرحم والمبيضين وأحيانا أخرى يشاهد فرج ومهبل ورحم ومبيضان وقضيب ولا يكون ثم خصيتان وفى هذه الحالة يكون البظر ناميا عظيم الحجم فيظن انه احليل وأحيانا أخرى يوجد بظر نام جدا وقناة مجرى البول تحته كما فى الاحليل في الرجل والمبيضين اما فى الحلقات الأوربية

أو فى الصفن المتكون من الشفرين العظيمين المتمددين وهذه الخنوثة تعتبر خنوثة ظاهرية أيضا لا خنوثة حقيقية * والخنوثة الحقيقية الحاصلة من وجود خصيتين يكوّنان منيا ومبيضين يولدان بويضات فى آن واحد لم تشاهد الى الآن فى النوع الانساني وانما السلطان فى خنوثة النوع الانسانى أحيانا للذكر منه بوجود الخصيتين وللانثي منه بوجود المبيضين وبالجملة فخنثي النوع الانساني لا يمكنها ان تلقح نفسها ولا تتلقح من الذكر منه لانها اما ذكر أو أنثى فانها ان لقحت غيرها كانت ذكرا لا يلحقه غيره وان تلقحت من غيرها كانت أنثى لا تلقح غيرها وقد شوهد شخص فى لسبون سنة ١٨٠٧ ميلادية التى أولها شهر يناير الذى يوافق شهر شوال من سنة ١١١٨ هجرية يبلغ عمره ثمانيا وعشرين سنة كمل فيه وصف الخنوثة وكان ذا قامة طويلة نحيفا أسمر اللون خفيف اللحية يشبه صوته صوت المرأة وكان له احليل نام وورم في الصفن يشبه الخصيتين وفرج وشفران كبيران وشفران صغيران كاملة وكان يأتيه الطمث منتظما وحمل مرتين ولكنه أجهض فيهما

في الشهر الثالث وفى الشهر الخامس وكان اذا جومع انتصب قضيبه ولم يكن له ميل الى النساء ومن هـذا يعلم ان هـذه الخنثى امرأة وان تلك الاورام في سمك الشفرين الكبيرين هما المبيضان لا الخصيتان وان ذلك الاحليل بظر نام قناته بالجس توصل الى قعر الكيس واما المثانة فكانت متصلة فى الخارج بقناة منفتحة في جزء المهبل العلوى كما في المرأة الواضحة غير المشكل

﴿ العلوق أى التلقيح ﴾

العلوق هو سبب للتناسل مهم وانما يحصل من مقابلة البويضة بالسائل المنوي سواء كان في خارج جسم الانثى أم في داخله وهذه المقابلة لا تكفي فى تمام العلوق بل يلزم ان يكون السائل المنوى محتويا على جميع عناصره الطبيعية وخاصة الحيوانات المنوية منها لانها هي المنوطة بالاخصاب وان البويضة تكون في حالة سلامتها حافظة لتركيبها الطبيعي والذى يثبت ما ذكرناه ان بعضهم اشتغل بالتجربة فوضع بيض الاسماك أو الزواحف في انائين في كل منهما ماء حار درجة

حرارة المائين واحدة ثم وضع السائل المنوى المأخوذ من الذكر في أحدهما فشاهد نمو البويضات فيه وأما البويضات التي لم يوضع عليها المني فوقفت في الاضمحلال وزالت زوالا كليا * ولاجل ان يكون السائل المنوى مخصبا يلزم ان يحتوى على حيواناته المنويه لان بعضهم رشح السائل المنوى المأخوذ من ذكر الضفادع ثم وضع المرشح المذكور على بيض الضفادع فلم تخصب ولما أخذ جزأ صغيرا من الذى بقي على سطح المرشح ووضعه على قسم آخر من بويضات الضفادع اخصبت ونمت وتولد منها حيوانات صغيرة فعلم من ذلك ان الحيوانات المنويه هى التى تخصب البويضات بالضرورة واشتغل بعضهم بتجربة أخرى فوضع بويضات الضفادع فى أناءين فيهما ماء ثم أضاف الى الماء فيهما سائلا منويا ونفذ تيار جلوانى فى السائل فى أحد الانائين فشاهد عدم حصول التلقيح في الاناء الذى مر فيه التيار الكهربائي وذلك لان هذا التيار قتل الحيوانات المنوية الموجودة فى هذا السائل واما الاناء الثانى فقد حصل فى سائله اخصاب البويضات ونموها وتولد

حيوانات صغيرة وذلك هو التلقيح * وقد سبق انا ذكرنا
ان العلوق لا يحصل بالضرورة الا بشرط ان تكون البويضة
سليمة لم تخرج عن حالها الطبيعية * واشتغل بعضهم بتجربة
في هذا فوضع بيض الضفادع عقب انفصاله من محله
من الانثي فوراً فى أناء فيه ماء وتركه ثماني ساعات أو عشر
ساعات ثم وضع عليه سائلا منويا مأخوذا من ذكر الضادع
فلم يخصب هذا البيض لان ماحدث فيه من التغير والانتفاخ
فى المادة الزلالية المحيطة به منعه من أن يخصب وجائز ان
ذلك الانتفاخ هو الذى منع تأثير الحيوانات المنوية فى البيض
ومن ثم كانت الحيوانات المائية التي تخرج البيض قبل تلقيحه
نحو السمك تعرف الذكور منها الوقت المناسب للاخصاب
الذى يعقب انفصال البيض من محله من الانثى فوراً أو بعده
قليلا واذا حصل غير ذلك يتلف البيض وتذهب مادته بالمرة
وأما فى الانسان فالبويضة تمر في مسالك لاتحدث فيها تلفا
بسرعة لانها تحفظ حالتها الطبيعية أياما ومن ثم تخصب بعد
خروجها من المبيض بزمن طويل * ومما ذكر ينتج ان

الاخصاب هو الجزء الفعال للتناسل الاولى فيه وان جميع مايسبقه أو يصاحبه لا يعد الا ثانويا فى المساعدة على تمام حصوله لان بعضهم حقن السائل المنوي فى أعضاء تناسل كلبة مدة الشبق فنتج من ذلك تولد أجنة كثيرة وذكر هنتر مايماثل ذلك فى النوع الانساني

﴿ وظيفة المنى فى التلقيح ﴾

من المعلوم أن كلا من وجود الحيوانات المنوية وسلامتها ودوام حركاتها يعد شرطا للتلقيح بالضرورة وكذا سلامة البويضة لان الحيوانات المنوية عند مقابلتها للبويضة تدخل فيها لتخصبها وتكون الكائن الجديد * في الانسان والحيوانات ذوات الثدى يدخل السائل المنوي فى قاع المهبل بعد القذف ثم يتجه بعيداً جهة المبيض لانه شوهد بفتحات إناث الارانب والكلاب في أزمنة متطاولة وغير متطاولة زمن اجتماع الذكر بالانثي وجود الحيوانات المنوية عند عنق الرحم بعد عشر ساعات أو أكثر منها ثم شوهدت فى البوق بالقرب من صيوانه بعد أربع وعشرين ساعة وحركات تقدم هذه الحيوانات

في الرحم والبوقين ليست ناشئة من تأثير الاهداب الاهتزازية الموشحة بها البشرة المخاطية المغلفة الساترة لباطن تلك الاعضاء بل ناشئة من ذاتها لاننا نعلم أن حركات هذه الاهداب تكون من الباطن الى الظاهر بحيث انها تعين على تقدم البويضة من جهة المبيض الى جهة الرحم فيأخذ كل منهما طريقاً يخالف طريق الآخر وقد علم من ذلك ان هذه الحيوانات لها حركات خاصة بها لتقدمها فى السير الى جهة المبيض وانقباض الرحم والبوقين يكون مساعدا لذلك * وقد ذكر المعلم اسبلنزانى ان الجزء الصغير جدا من السائل المنوى كاف في اخصاب عدد وافر من البويضات وقد جرب ذلك بعضهم فاخذ خمسة عشر سنتيا من جرام من منى الضفادع ووضعه فى خمسين جراما من الماء ثم أخذ نقطة من هذا السائل ووضعها على سائل حاو لعدد عظيم من بويضات الضفادع فشاهد اخصابها * ومن المحقق أن الحيوانات المنوية تلامس البويضات وتدخل في كتلتها الزلالية الرقيقة التى تحيط بها حال مرورها في البوق أو انها تدخل من المكرو بيل وهو

المحل الذى يدخل منه الحيوان المنوي فى البويضات ذوات القشرة * وشاهد المعلم ميسنر في شهر مارث سنة ١٨٥٤ ميلادية فى المعمل الفيسلوجي للمعلم فجنر فى أرنب قتلت بقصد غير قصد التجربة وجود بويضات ملقحة فى الجزء الرحمي الذى للبوقين ولما امتحن هذه البويضات بالمكروسكوب وجد فيها حيوانات منوية فى المنطقة الشفافة الملامسة للمح مباشرة وقد شاهد المعلم كوست الظاهرة بعينها في تجاربه في الضفادع ومن هذا الوقت صار دخول الحيوانات المنوية في البويضة مؤكداً من خلال الطبقة الزلالية النصف سائلة عند الانسان والحيوانات الثديية التى تتكاثف بعد دخول الحيوانات فيها بحيث لاتفسح لها ولا تسمح بخروجها منها مطلقا أما مايحصل فى الحيوانات المنوية بعد دخولها في البويضة فسنأتى عليه مفصلا

﴿ موضع التلقيح وأزمنته ﴾

يحصل تقابل البويضة بالحيوانات المنوية فى اصقاع عديدة من المسالك التناسلية فتارة يحصل على سطح المبيض وتارة

فى الطرف البوقي المبيضى وتارة فى الطرف البوقى الرحمي وهذا نادر وبسبب هذه الامور يكون التقابل والتلقيح حاصلين البتة لاريب فيهما ولايحصل تلقيح البويضة مادامت فى المبيض داخل حويصلة جراف الا انه قديحصل على سطح المبيض كما شوهد فى الحيوانات التى قتلت بعد يوم أويومين من السفاد فبالبحث عن أعضاء تناسلها وجدت الحيوانات المنوية فيها على سطح المبيض ويؤكد هذا القول الحمل خارج الرحم في النساء * والخاصية المتمتعة بها الحيوانات المنوية لتلقيح البويضة بعد زمن طويل أو قصير تكون واضحة جدا في الهوام لانه يوجد فيها تجويف يسمي بالكيس السفادي يحفظ فيه السائل المنوى شهراً أو شهرين الى مرور البويضة من القناة المتصل بها هذا الكيس فيلقحها

ومتى خرجت البويضة من حويصلة جراف ودخلت فى البوق وقت الجماع حصل اخصابها في البوق نفسه فى مسافات مختلفة من طوله بحسب كون البويضة قريبة من الرحم أو بعيدة منه ومع ذلك فالمحقق عند المعلم كوست ان التلقيح

يحصل غالبا في القرب من المبيض بسبب ان البويضة حال مرورها في البوق تحاط بطبقة زلالية في الحيوانات الثدية تمنع تلك الطبقة دخول الحيوانات المنوية فيها بالقرب من الرحم وأيضا فان البويضة التي تدخل فى البوق قبل أن تخصب تتغير بسرعة فيتم تلفها بوصولها الى الرحم فتذوب فى مخاط الرحم وتخرج من المسالك التناسلية فيعلم مما ذكر أن التلقيح لايحصل فى تجويف الرحم ولا بعد الجماع فورا وقد أثبت ذلك المعلم كوستُ بأن أخذ أناث الارانب فى وقت النزو ووضعها في قاعة حتى مضى زمن الحرارة عندها ثم قرب الذكور من الاناث وبعد اجتماع بعضها ببعض بمسافة ثمانى عشرة ساعة قتل تلك الاناث فوجد البويضات مارة فى البوق بالقرب من الرحم ومحاطة بالوف من الحيوانات المنوية لكنها لم تخصب لانها أخذت فى التلف * وبالجملة يمكن أن يقال أن الاخصاب يحصل بسرعة متي كان الجماع قبل تمزق حويصلة جراف بقليل أو بعده بقليل ولكن بعد خروج البويضة منها وبعضهم قال ان الاخصاب يحصل في ثمانية أيام أو عشرة

تعقب الطمث وليس ذلك محققا

﴿ الباب الخامس فى الاخصاب المتضاعف ﴾

أي تلقيح البويضة * ليس للانسان والحيوانات مدخل فى عدد الاجنة المتولدة لان العدد ينسب الي أعضاء التناسل المستكملة لشروطها ومتبراتها لا الي الارادة والقصد * والمعلوم لنا ان الحيوانات تحمل بالجنين والجنينين وأكثر منهما بخلاف المرأة لا تحمل فى الغالب الا بجنين واحد وقد تحمل بالجنينين والثلاثة والاربعة وماذاك الا أن كثرة من حويصلات جراف تمزقت ووصلت الى كمال نموها فى آن واحد ثم تمر البويضات فى البوقين اما فى آن واحد أو آنين أو آونة قريب بعضها من بعض ويمكن أن ينسب الحمل المزدوج الى وجود بويضتين في حويصلة واحدة من حويصلات جراف * والحمل المزدوج أو الثلاثى أو الرباعي ينتج من اخصاب عدة بويضات فى آن واحد وليس للرجل فيها مدخل بل الانثى وحدها لانه يوجد نسوة تحملن وتلدن دائما توأمين فى كل مرة وذكر في المشاهدات العلمية أن رجلا فلاحا روسيا رزق تسعين

ولدا « بالتاء قبل السين » لانه تزوج نساء كثيرة كانت تلد الواحدة منهن اثنين أو ثلاثة أو أربعة ولما كان ذلك نادرا طلبت الملكة كاترين الحاكمة على الروسيين في ذلك الوقت أن تزور هذا الرجل وتنظر الى عائلته البالغة ذلك العدد وأما الحمل فوق الحمل فليس شيئا آخر سوى اخصاب توأمين حصل على القرب في الوقت عينه فى امرأة نمت فيها عدة من حويصلات جراف وتمزقت فى آن واحد فقد شوهد أن امرأة سوداء ولدت توأمين أحدهما أسود والآخر أبيض وامرأة أخرى بيضاء ولدت توأمين أحدهما أبيض والآخر أسمر ولما سئلتا عن ذلك قالت كل منهما مسنى رجلان أبيض وأسود فى وقتين قريب أحدهما من الآخر وبقولهما هذا تفسر تلك الواقعة الغامضة وتنكشف واضحة وقد شوهدت امرأة وضعت طفلا تام التكوين وبعد ثلاثة أشهر أو أربعة أو خمسة وضعت طفلا آخر تام التكوين ففى هذه الحالة يصعب الوصول الى معرفة حقيقية العلوق الثاني فبعضهم فسر هذه الواقعة فقال ان الاخصاب حصل في وقت واحد الا أن

نمو أحد الجنينين سبق نمو الآخر فنزل الاول بعد تمام نموه ولما تم نمو الثاني تبع الاول فى النزول ومن أجل ذلك يكون الثاني أضعف من الاول ثم الغالب ان احدهما ينزل من الرحم ميتا أو يموت فيه ويبقي مدة طويلة فيه بدون تعفن * وعلى كل حال يلزم أن يكون اخصاب الجنينين في زمن واحد أو فى زمنين متقاربين جدا لان مقابلة الحيوانات المنوية بالبويضة لايتأتي الا اذا كان الرحم خاليا واما اذا تمدد بحاصل الحمل فيرى ان غشاءه المخاطى ينتفخ انتفاخا شديدا فيسد الفوهات الرحمية للبوقين فيمتنع مرور الحيوانات المنوية الى جهة المبيض وكذا وصول البويضات الى الرحم لان الطمث لايحصل مدة الحمل ليستريح المبيض (فان قلت) فهل الجنين متعلق بالبويضة بمعني ان البويضة حين تنفصل من المبيض تكون ذكرا أو انثي أو ان السائل المنوي المخصب لها هو الذى يحدث ذلك فيها أو ان النوع هو الذي يحدث ذلك بسلطان قوة الذكر أو بسلطان قوة الانثى (قلنا) ان العلم لم يوقفنا الى الآن على حقائق هذه المسائل نعم وقع عند بعض

الناظرين فى إناث البقر انه اذا قرب الذكر من الانثى فى ابتداء طلب النزو عليها يكون الاناث اكثر من الذكور والعكس اذا قرب منها فى انتهاء طلب النزو عليها ويفسر ذلك بأن البويضات كلما كان نموها تاما تعطي بإخصابها ذكورا والعكس كلما كان نموها غير تام وقال بعضهم ان المبيض الايمن يولد بويضات الجنين الذكر والايسر يولد بويضات الجنين الانثي وقال بعضهم ان للوضع الذى تأخذه المرأة وقت الجماع مدخلا فى ذلك مهمّا وقال آخر ان الخصية اليسري تعطى ذكورا واليمنى تعطى اناثا ولكن المشاهدات الطبية أبانت ان الرجال الذين لهم خصية واحدة يلدون ذكورا واناثا وكذا النساء اللاتى استؤصل أحد المبيضين منهن يلدن ذكورا واناثا

﴿ الباب السادس في ظواهر نمو البويضة التى تسبق ﴾
(الاخصاب وظواهر اخصابها ونموها من وقت الاخصاب)
(الى ظهور البلاستودرم وهو عبارة عن غشاء محيط بحويصلة)
(أصل البويضة فيصير جنينا)

من المعلوم ان أطوار نمو البويضة فى الانسان لا يمكن

مشاهدتها فيه لكن التجارب الصحيحة في بعض الحيوانات
التى لا اقفار لها وفي بعض الحيوانات التى لها قفار كالارنب
والخفاش تدلنا على ان نمو البويضة يكون واحدا في جميع
الانواع على سبيل التقريب وحينئذ يصير تطبيقها على الانسان
والحيوانات الثديية امرا واضحا سهلا فظواهر نمو البويضة
قبل التلقيح تنحصر فى التنوعات التى تكابدها البويضة
مادامت فى حويصلة جراف وبعد دخولها في البوق لكى
تتهيأ وتستعد للتلقيح فأول تغير يحصل فيها هو زوال الحويصلة
الجرثومية من محلها أعنى انها تتجه من جهة دائرة البويضة
الي مركزها وهذا الزوال يعتبر علامة لتمام النمو ويمكن أن
يعتبر فى أيامنا هذه نوعا من الاستحالة الجديدة تحصل فى
الحويصلة الجرثومية بزوال البقعة الجرثومية منها وانتقالها من
موضعها الى موضع آخر وبذا تصير شفافة وتتجه جهة مركز
البويضة فتكتسب شكل مغزل مستطيل تظهر في طرفيه
نجمتان احداهما متوجهة الى جهة دائرة البويضة والاخري
تشرف على مركزها فهذه الاخيرة تطرد امامها جزأ من

بروتوبلاسما البويضة وهو سائل البويضة بحيث يتكون من ذلك حويصلة شفافة مختنقة من القاعدة تسمي بالكرة القطبية الاولى التي تذوب وتختنق وبعد قليل من الزمان تحصل الظواهر عينها في النجمة الاخرى فيحدث من ذلك كرة قطبية أخري تزول مثل الاولي لان بعضهم اعتبرها افرازات صارت غير ضرورية للبويضة والجزء الباقي من المغزل يبقى فى مركز البويضة على هيئة نواة مستديرة تسمى بالنجمة المركزية للبويضة وبهذه الكيفية تصير البويضة مهيأة للتلقيح والزمن الذى يعقب تكوّن هذه النجمة المركزية للبويضة هو الموافق للاخصاب * وأما ظواهر إخصاب البويضة فتحصل فى الوقت الذى فيه يتم تكوّن النجمة المركزية فيها فاولا تصير الطبقة الظاهرة التى تحيط بالبويضة كثيرة السيلان أى رخوة بحيث لا يمكن تسميتها بالغشاء المحى * فالحيوانات المنوية تنتشر على سطح البويضة فالواحد منها يتقدم الى دائرة الصفرة ومتى وصل الي تلك الدائرة أثرت فيه اذا لامسته بجذبه اليها وبهذه الكيفية يتكون من الصفرة مخروط صغير تثبت فيه رأس

الحيوان المنوى بحيث ان هذا المخروط يجذب رأس الحيوان المنوي الى الباطن وأما ذنبه فيفقد حركته ويبقى فى الطبقة الغروية المحيطة بالبويضة ثم يزول بالمرة كعضو متحرك ليس من ضرورة حياة البويضة . وبمجرد دخول رأس الحيوان المنوى فى الصفرة تتكاثف الطبقة الرخوة وهى التى تدور بالبويضة وتحيط بها تكاثفا سريعا فتمنع دخول حيوانات منوية جديدة في البويضة وتمنع الحيوان الذى دخل فيها من الخروج الى الخارج وتكوّن ما يسمى بالغشاء المحى . وفي المحل الذي يدخل رأس الحيوان المنوي فيه تشاهد بقعة صافية تحاط بعد زمن قليل بحبيبات محية ذوات شكل شعاعى ويسمون هذه البقعة النجم الذكر أو النواة المنوية أيضا وهذه البقعة ليست الاجزأ من الحيوان المنوى المحبوس والمتنوع وهذه النواة تتجه بسرعة الى جهة مركز البويضة قاصدة الي النواة الانثى ومتى قربت منها حصل بينهما جذب ما واختلطا وامتزج بعضهما ببعض فحينئذ تزول أشعة نواة الذكر التى تحيط بها وتكوّن نواة الانثي علي شكل نصف هلال يقبل في تقميزه

نواة الذكر وحينئذ لا يمكن تمييز أحدهما من الآخر لأنهما كونتا نواة واحدة تسمى بالنواة المحية وتسمى بالنواة الجرثومية أيضا وهي التي تولد الكائن الجديد وربما تدخل جملة حيوانات منوية في البويضة فيتكون منها جملة من النوي الذكرية تتحد كلها بنواة الانثى فتتكون منها النواة المحية ولكن متى ابتدأ دور انقسام هذه النواة يرى انه غير منتظم عادة فيقف نمو البويضة

﴿ كيفية نمو البويضة الملقحة الى وقت ظهور البلاستودرم ﴾

قد سبق أنا أوضحنا ان البويضة عند خروجها من حويصلة جراف تجذب اليها كتلة من خلايا صغيرة تحيط بها تسمي بالقرص الجرثومي وهذه الخلايا تذوب شيئاً فشيئاً حتى تضمحل وتذهب بالمرّة أما البويضة الملقحة عادة في الجزء المبيضى من البوق فتستمر فى سيرها وتحاط بطبقة زلالية رقيقة جدا في الانسان والحيوانات ذوات الثدي وتكون سميكة عند الطير وهي التى تكوّن زلال البيض وهو الذي تسميه العامة بياض البيض المحيط بصفرته وتساعد مع جزء

عظيم من المح تغذية الكائن الجديد المتكوّن في البيضة وأما
في الانسان فلا تكون منفعتها كذلك ومن ثم لم تكن دائمة
لانها تزول متى وصلت البويضة الى الرحم الذى فيه تتثبت
وتنمو . وأما انقسام المح الذي هو نمو البيضة الملقحة الحقيق
أى الاستحالة الدالة على ابتداء تكوّن الجنين فطريقه على
مايشهد به الحس والعيان والمشاهدة ان النقطة الصافية في وسط
الصفرة التي يسمونها النواة المحية المتكوّنة من نواة الذكر
ونواة الانثي المختلطين الممتزجة احداهما بالاخري تنقسم الى
قسمين كل واحد منهما يجذب اليه السائل المحى المحيط به
ثم تنقسم هاتان النواتان الى أربعة ثم الي ثمانية ثم الى ستة
عشر ثم الى اثنين وثلاثين وعلى هذا القياس يحصل الانقسام
الى خلايا صغيرة تملأ تجويف البويضة كله . وانقسام المح
المذكور المعبر عنه بالاستحاله المذكورة مرة وبالتنوع مرة
أخرى يحصل في كتلة المح كلها في الانسان وفى الحيوانات
ذوات الثدى ومن ثم يسمى بالانقسام الكامل وأما انقسام
المح في الطير فانما يحصل في جزء من المح والباقي منه معد لتغذية

الـكائن الجديد مع الطبقة الزلالية . ومتى وصل انقسام المح
الى آخر حدوده فـكل كرة من كراته تصـير خلية حقيقية
فجميع هـذه الخلايا الابتدائية تجتمع متضامة الى جهة دائرة
البويضة بحيث تصير ملامسة للسطح الباطنى الذى للغشاء
المحى لان السائل الذى يتـكون فى باطن البويضة بتراكمه فيها
يطرد الخلايا الى الخارج وبهذه الـكيفية يزاحم بعضها بعضا
فيغير شكلها وتصير كثيرة السطوح ثم يلتحم بعضها ببعض
مكوّنة لغشاء واحد كروي الشكل داخل الغشاء المحى وحينئذ
فالبويضـة في هذا الوقت تتركب من غشائين وهما الغشاء المحي
والغشاء الجديد التـكويني المسمي بالحويصلة البلاستودرمية .
فالحويصلة البلاستودرمية الملتصقة بالغشاء المحى يحتوى باطنها
على سائل زلالى توجد فيه حبيبات سابحة عائمة باستحالاتـها
تولد الجنين ومتعلقاته .

﴿ البلاستودرم أى الجنين ﴾

متى تكوّن الغشاء البلاستودرمى يرى انه يصير معتما
في جزء صغير من امتداده فى مبدإ نموه ومن ثم يصير مرور

الضوء فيها ضعيفا اذا نظرت باللوپ أو المكرسكوب وهذا النمو يعتبر أول ما يتكوّن الجنين ويسمى حينئذ بالقوس الجرثومي وتحصل الظواهر المتقدمة في البويضة الملقحة حين مرورها في البوق ومتى وصلت الى الرحم في اليوم الثامن تقريبا بعد التلقيح يزيد حجمها على ما كانت عليه في المبيض باربع مرات فيصير حجمها من ربع ملي الي ملي ثم تمر البويضة في الفوهة البوقية الرحمية الضيقة اذا وصلت اليها لكي تدخل في الرحم فتجد غشاءه المخاطي منتفخا ذا ثنيات بارزة ولفائف شاغلة لجميع تجويفه ويحصل انتفاخ الغشاء المذكور بعد تلقيح البويضة التي تقف في احدى ثنيات الرحم وتثبت فيها وحينئذ يري ان غشاءها المحي يحاط بمستطيلات كثيرة ذوات خمل تنفرش في الغشاء المخاطي الرحمي الذي يكون حول البويضة على شكل حوية حلقية تنمو شيأ فشيئاً حتى تحيط بالبويضة من جميع جهاتها مكوّنة لغشاء كامل يسمى بالغشاء الساقط (وسنشرح) فيما يأتي التغيرات التي تحصل في الرحم ان شاء الله تعالى . (أما التغيرات التي تحصل في البلاستودرم في الانسان والحيوانات

ذوات الثدى حين وصول البويضة الى الرحم فسريعة جدا
لان القوس الجرثومي يصير على شكل بيضاوى بعد ان كان
على شكل مستدير ثم يستطيل صافيا فى مركزه ويسمي بالقوس
الشفاف ويظهر فى وسط هذا القوس خط يدل على تولد
المجموع العصبي المركزي وحينئذ تنقسم البلاستودرم الى
وريقتين موضوعة احداهما على الاخري فتحاط البويضة
حينئذ بغلافات ثلاث موضوع بعضها فوق بعض أحدها
ظاهر وهو الغشاء المحي والثاني متوسط وهو وريقة
البلاستودرم الظاهرة والثالث يلي الباطن وهو وريقتها الباطنة
فوريقة البلاستودرم الظاهرة يتكون منها حين نمو الجنين
البشرة الجلدية وما يشتق منها والبلورية والاذن الباطنة
والمجموع العصبى المركزى وغلافات الجنين وهى الامنيوس
والحويصلة المصلية والسرية والسجقية وأما وريقتها الباطنة
فتكوّن البشرة المخاطية التى للقناة المعوية والاعضاء الغددية
المتعلقة بها وبشرة القصبة الهوائية وبشرة كل من الحوصلة
السّرية والحوصلة السجقية ثم يتولد في سمك جسم الجنين بين

الورقتين السابقتين وريقة ثالثة تسمى بالوريقة المتوسطة آتية من الطبقة الخلوية الموجودة بين الورقتين الاصليتين التى للبلاستودرم وهى التى تكوّن باستحالاتها بعدُ الكرات الدموية والخلايا العصبية والغضروفية والعظمية والالياف العضلية والانابيب العصبية وكذا النسيج الخلوى والنسيج المرن ويتكون المجموع الوعائي الذى للجنين فى السائل البلاستيمى الموجود بين وريقتى البلاستودرم الظاهرة والباطنة وفى المدة التى تتكوّن فيها الثلاث الوريقات من البلاستودرم أى الغشاء المولد للجنين تشاهد ان البقعة الجنينية تستطيل وتزداد سمكا بحيث انها تكوّن بروزاً على سطح الغشاء المذكور فتنحنى أطرافها وحافاتها الى الداخل جهة مركز البويضة وتعطى جسم الجنين هيئة زَوْرَقٍ صغير مقعره يلي مركز البويضة وأما حافاته المسماة بالصفائح البطنية فيتقارب بعضها من بعض شيئاً فشيئاً لتكوّن فتحة صغيرة تقابل السرة وحين ماينحني الجنين على نفسه يرى أن أحد أطرافه ينتفخ أكثر من الطرف الآخر وهو المسمى برأس الجنين وحينئذ يرى فى باطن

الكتلة المكونة للجنين أثر النخاع والدماغ والفقرات *
وحينما ينحني الجنين ويكتسب شكل زورق يشاهد أن جزء
ورقة البلاستودرم الظاهرة الموضوع في حدود الجنين يبرز
حوله ولا سيما جهتى الطرف الدماغى والطرف الذنبي مكوّنا
للقلنسوة الدماغية والقلنسوة الذنبية الكائنتين على طرف
الجنين وهاتان القلنسوتان تقرب أحداهما من الاخرى حذاء
وسط ظهر الجنين فى المحل الذى يطلق عليه السرة الخلقية ومن
ذلك ينشأ الامنيوس . وأما ورقة البلاستودرم الباطنة وهى
المخاطية فيحصل فيها حين ما ينحنى الجنين الى الداخل اختناق
تقابل السرة وبهذا الاختناق ينقسم تجويفها الى جزئين غير
متساويين يتصل بعضهما ببعض في اختناق السرة فالقطعة
الموجودة داخل جسم الجنين تكون بعد تجويف المعى وأما
القطعة الخارجة فتكون عظيمة الحجم وتأخذ اسم حوصلة
سرية

﴿ غلافات الجنين ﴾

من المعلوم انه يميز فى البويضة فى اليوم الثاني عشر من

نموها جزآن متميزان وهما جسم الجنين من جهة ومتعلقات الجنين من جهة أخري والمراد بتلك المتعلقات جميع الاجزاء التى لاتدخل في تركيب كتلة الجنين ولكنها ضرورية لنموه وهى الغشاء المحى أو الظاهر ويسمى حينئذ أي الآن فصاعداً بالسلي ثم الوريقه الظاهرة للبلاستودرم التى باجتماعها على الجزء الظهرى الذي للجنين تكوّن الامنيوس ثم الجزء الخارج عن الجنين من الوريقة الباطنة المسمى بالحوصلة السرية ومن متعلقات الجنين أيضا الحوصلة السجقية الآتية من وريقة البلاستودرم الباطنة وهى التى منها تتكوّن الميشمة والحبل السري ويمكن أن يكون من متعلقات الجنين أيضا الغشاء الساقط وهو ليس شيئا سوي الغشاء المخاطي الرحمى ولكنه تنوع تركيبه بالنمو وهو المكون لغلاف البويضة الظاهر ولكنه ليس منها وسنبحث عنه بعد ان شاء الله تعالى

﴿ الامنيوس ﴾

ثنيات وريقة البلاستودرم الظاهرة التى ترتفع حول جسم الجنين متجهة الى جهته الظهرية تتقابل أى يقابل بعضها

بعضا في اليوم المتمم للعشرين أو اليوم الخامس والعشرين من نمو البويضة والحاجز الذى يتكوّن بينهما يضمحل بل يزول ويذهب كليا وحينئذ تكوّن تلك الثنيات فوق ظهر الجنين وريقتين احداهما جهة الجنين والاخري جهة الغشاء المحي وهى التى بالتصاقها به يتكون السلي الاول أي غلاف البويضة الظاهرى وأما الثنية التى هى الى جهة الجنين فتكوّن الامنيوس وحدها وتكون ملاصقة للجنين فى مبدإ أمره وانما تنفصل منه بطبقة زلالية ثم تتباعد منه شيئا فشيئا بواسطة السائل الامنيوسى الذي يتراكم بينه وبينها وهو آت من أوعية المضغة وحينئذ فالامنيوس يكون غلافا للجنين يحيط به ابتداء من جهة الظهر والطرف الراسى والطرف الذنبي وكلما ضاقت الفوهة السرية بتقارب الصفائح البطنية يرى ان هذه الصفائح تجذب الامنيوس اليها شيئا فشيئا حتى يقرب من عنق الحوصلة السرية واذن يصير الجنين محاطا بالامنيوس من جميع أجزائه ماعدا الجزء الذى فيه تتصل الحوصلة السرية بتجويف الجنين البطنى ففى هذا الجزء ينعكس الامنيوس على عنق الحوصلة

السرية والحوصلة السجقية والحبل السرى المتولد حديثاومن أجل ذلك يكون لهذا الحبل غمدا يصاحبه فى طوله ويطابقه فيه مهما يكن له من طول والامنيوس يكتسب سمكا وكثافة بمرور الزمان عليه شيئا فشيئا وفي الشهر الثالث يلتصق بالسلى الاول بعد زوال الحوصلة السرية ومن أجل ذلك يعد من جملة الاغشية الدائمة مع البويضة وهويشابه الاغشية المصلية مشابهة تامة لان سطحه الباطن يكون أملس ومغطى ببشرة كثيرة السطوح مثل بقية الاغشية المصلية ومن أجل ذلك يمكن اعتبار السائل الذى هو فى تجويفه كمفرزه الخاص كالاغشية المصلية الحشوية وهذا السائل يكون أول أمره صافيا شفافا ثم يكون آخره عكرا مصفرا قليلا ويكون طعمه ملحيا قليلا أيضا ويحتوي باطنه على فضلات خلوية جنينية واملاح ومواد زلالية وماء (والمائة) جزء منه تحتوى على تسعة وتسعين جزأ من الماء والباقى مواد زلالية وكلور ورصوديوم أى ملح الطعام وفسفات الجير وكبريتاته * والسائل الامنيوسى يجتمع فى تجويف غشائه الى الشهر الخامس الذى

فيـه يكون وزن الجنين والسائل متساويين ثم ينمو الجنين وأما السائل الامنيوسى فيبقى على حالتـه بحيث يكون وقت الولادة من نصف كيلو جراما الى كيلو جراما

﴿ الحوصلة السرية ﴾

هى الجزء العظيم الحجم من وريقةالبلاستودرم الباطنة الموجود خارج الجنين وهى تتكون فى الوقت الذى فيـه تبتدئ وريقة البلاستودرم الباطنة في الاختناق عند انحناء الجنين وهذه الحوصلة تتصل بالتجويف الباطني الذي للجنين اتصالا متسعا وهذا الاتصال يكون شبه عنيق مجوف يستطيل بمرور الزمان عليـه وهو الذي يحدث المواصلة بين الحويصلة السرية والمعى المبتـدأة في التـكوين ويسمى بالقناة السرية الماساريقية فالجزء المعبرعنه بالنقطة هناوفيما تقدم وفيما يأتي من جسم الجنين الذي يوصل هذه القناة بالمعى يضيق شيئا فشيئا ويكوّن فتحة السرة ويشاهد على جدر الحوصلةالسرية أوعية تتصل باوعية جسم الجنين وتسمى بالسريةالماساريقية * ومدة مكث الحوصلة السرية قصيرة لانها تزول بسرعـة فى آخر

الشهر الاول تقريباً من النمو وذلك ان العنيق المحدث للاتصال بينها وبين المعى يأخذ فى الضيق شيئا فشيئا فيزول كل تواصل بين الجنين والحوصلة السرية بالامتصاص كلما نمت البويضة وهذه الحوصلة تشاهد على هيئة جيب مفرطح بين الجزء المشيمي للحبل السرى والوجه الباطن للكيس الامنيوسى فى الثلاثة أو الاربعة الاشهر الاولى من حياة الجنين الرحمية وربما يرى أثرها فى أغشية البيضة عند الولادة * وتحتوى الحوصلة السرية في الانسان والحيوانات ذوات الثدى على سائل زلالى شحمى معد لتغذية الجنين لان الاوعية السرية الماساريقية التي تدور على سطحها تنقل هذه المواد المغذية بالامتصاص الى كتلة دم الجنين ووظيفتها هذه قصيرة زمانا لانها تبتدئ فى الضمور فى الاسبوع الرابع من النمو كما ذكرنا وأما في الطير فتكون ذات أهمية عظمى أيضا لانها تحتوى على مادة مغذية للجنين زمان جميع التفريخ

﴿ الحوصلة السجقيه ﴾

تتكون هذه الحوصلة من وريقتى البلاستودرم المتوسطة

والباطنة فالاولى تكوّن أوعيتها والثانية تكوّن طبقتها البشرية وهذه الحوصلة تظهر فى اليوم الثاني عشر أو الخامس عشر فى الوقت الذى فيه تتحدد الحوصلة السرية بتكوّن السرة فى الجنين على هيئة حلمة وعائية على الجزء من وريقة البلاستودرم الباطنة المقابل للقطعة الخلفية من معى الجنين أى الطرف الذنبي المعوى وهذه الحلمة تنمو شيئا فشيئا حتي تكوّن الحوصلة السجقية التى ترى بالعين الباصرة ومتى حصل الاختناق السري تقسم الحوصلة السجقية الى جزئين منتفخين منفصل أحدهما من الآخر فالجزء الداخل يكون موضوعا فى بطن الجنين وهو الذى يكوّن بعدُ المعى والمثانة واما الجزء الخارج عن الجنين فيكون كثير الوعائية وهو الذى يكوّن الحوصلة السجقية الحقيقية فالاوعية التى تدور على سطحها تسمي حينئذ بالاوعية السجقية التي يتكوّن منها بعدُ أوعية الحبل السرى وقد سبق انا أوضحنا ان الحوصلة السجقية تنمو بسرعة لكى تصل الى غلاف البويضة الظاهري وتنتشر على سطحه الباطن ملتحمة به من كل جهة

وهى التى تكوّن السلى الثالث وبهذا تصير مثل موصل حامل للاوعية الموجودة فيها لكى تكوّن السلى الوعائي لان السليين الاول والثانى كانا غير وعائين ومن أجل ذلك أعطى السلى المكوّن من الحوصلة السجقية وغلافات البويضة اسم السلى الوعائي أى سمى به وهذا السلي يكون أول أمره وعائيا فى أجزائه كلها وبعد حين تأخذ الحلقات الوعائية التي هي للخملات السلوية فى الضمور على مايشهد به العيان بحيث لايحفظ وعائيته الا في الجزء المقابل للمشيمة واذا أتمت الحوصلة السجقية وظيفتها من الايصال الى الاوعية المحمولة عليها ووصلت الي دائرة البويضة لكي تحدث بين الجنين والام الاتصالات الضرورية لنموه فانّ اتصالها بالمثانة ينسد حذاء فتحة السرة وهذا الانسداد يحصل فى اليوم المتم للاربعين من النمو فالعنيق المحفور يستحيل الى حبل ليفى يلتصق بعدُ باوعية الحبل السرى مكونا لما يسمى بالاورك

﴿ السلى ﴾

هو غشاء البويضة الظاهر المحي الملامس للغشاء المخاطي

الرحمى المسمى بالغشاء الساقط الذي يحيط بالبويضة اذا وصلت الى الرحم وبعد حين تضافُ اليه وريقة البلاستودرم الظاهرة التي تلتصق به بعد أن كونت الامنيوس بانعطافها حول الجنين وفى اليوم المتم للثلاثين يضاف الى ماذكر وريقتا الحوصلة السجقية بعد زوال سائلها بالتدريج بالامتصاص . وبعد زمان وصول البويضة الى الرحم يتولد على وجه السلى الوحشى جملة كثيرة من الخمل وهى مستطيلات صغيرة تنغرس في الغشاء المخاطى الرحمى لتثبيت البويضة وتغذيتها لانها تفعل ماتفعله الالياف الشعرية التى للبجذور النباتية بامتصاصها السوائل المغذية لها من جدر الرحم الوعائية . ويتكون خمل السلى من ازرار لحمية تتولد أولا على الغشاء المحى وثانيا على وريقة البلاستودرم الظاهرة وثالثا على الحوصلة السجقية الا انه لا يصير وعائيا الا فى اليوم المتم للثلاثين من النمو وذلك بعد أن تلتصق وريقتا الحوصلة السجقية بالسلى وتتغذى البويضة بواسطة خمل السلي الشاغل لجميع سطحه ومتى تكونت المشيمة بدأ خمل السلى فى الضمور شيأ فشيأ سواء أكان وعائيا أم غير وعائي

بحيث لا يبقى الا الجزء المقابل للمشيمة الذي فيه تنمو الاوعية الدموية نموا ظاهرا وهذا الشغل ينتهى فى آخر الشهر الثالث

﴿ المشيمة والحبل السرى ﴾

تتكون مشيمة الجنين من خمل السلى الثالث الوعائي الآتى من الحوصلة السجقية وذلك ان خمل السلى ينمو نماء بازرار ومستطيلات شجرية يجتمع بعضها ببعض بواسطة نسيج خلوى هش بحيث تكوّن فلقتاه مشيمة الجنين وهذه المتفرعات الوعائية تنغرس في سمك الغشاء المخاطى الرحمي الذي تنوع من قبل وأما الرحم فيرسل مستطيلات وعائية قليلة البروز تتعشق مع الاولى وتقرب منها قرب ملامسة وليست متصلة بها طرفا بطرف وهى التي تكوّن المشيمة الامية فينتج من هذا الشغل الذي يحصل في زمان واحد نوع من تعشق بين أوعية الجهتين وبذلك تتسع سطوح الملامسة بين أوعية مشيمة الام وأوعية مشيمة الجنين وذلك لاجل حصول المبادلات السائلة والغازية بين دم الام ودم الجنين من خلال جدر الاوعية بظواهر الاسموز وكلما ازداد نمو

الجنين ازدادت مشيمته حجما وبذلك تحدث اتصالات بينه وبين أمه واسعة ووقت الولادة تكون المشيمة الجنينية عظيما حجمها على شكل قرص مستدير تقريبا اسفنجية متصلة دائرتها بالسلى معلقة بالحبل السري المكون من منتهيات فروعها الوعائية وقطر المشيمة من خمسة عشر سنتيا من المتر الي عشرين سنتيا منه تقريبا وسمكها من سنتي واحد من المتر الى سنتيين اثنين منه فى المركز وأقل من ذلك من جهة الدائرة وسطحها الباطن من جهة البويضة أملس ومغطى بالامنيوس وأما سطحها الظاهر فعلى شكل فصوص رخوة منتفخة دامية بسبب انفصالها من المشيمة الوعائية الرحمية الامية . وفى الحمل الضعف أو الذى هو أ كثر من الضعف يكون جملة من المشيمات بقدر عدد جنينين أوأجنة في رحم المرأة الحامل. (وأما الحبل) السرى الذى يحدث اتصال أوعية الجنين بمشيمته فبدأ تكونه حين تتصل الحوصلة السجقية الحاملة لاوعيته باغشية البيضة ففى محل تقابل الحوصلة السجقية باغشية البيضة واتصال الاولى بالثانية

تنفرش أوعيتها مكوّنة للمشيمه • ويتكون الحبل السرى
من العنيق المستطيل الذى لكل من الحوصلة السرية والسجقيه
مع أوعيتهما لان الحوصلة السجقيه تظهر وتزول تاركة محلها
وعنيقها المستطيل يستحيل الى رباط لبني يحل محل موصل
بين الحوصلة المذكورة والمعى وأما أوعيتهما فتبقى فى الحبل
السرى مع الرباط الليفى المتقدم واذا نظرت الى الحبل السرى
عند الولادة علمت ان طوله فى الحد المتوسط خمسون سنتيا
من المتر وسمكه سنتي واحد منه والاجزاء الداخلة فى تركيبه
هي خمسه الاول الامنيوس الذي بانعطافه على جهه الجنين
البطنيه يلتصق بالحبل السرى ويحيط به مكونا لغمد يستمر
معه الى تمام نمو الجنين والثانى الاوعية والثالث الرباط الليفى
الذى هو أثر الحوصلة السجقيه والرابع المادة الزلاليه
الثخينة الغليظه التى توجد بين أجزائه وتعطيه شكلا مستديرا
يسمى بهلام وارتن والخامس بعض فريعات عصبيه آتيه
من الضفيرة الكبدية للعظيم السنباتوى فشرايين الحبل السرى
تسمي في مبدا أمرها بالسجقيه وبعد تنوع الحوصلة السجقيه

وزوالها تسمى بالسرية وهى متصلة بشرايين الجنين الحرقفيه
وأما أوردة الحبل فتسمى فى مبدإ أمرها بالسجقية كشرايين
الحبل السرى في انها تسمي فى مبدإ أمرها بذلك ثم تنتهى
بوريد واحد يسمي بالوريد السري الذى يتصل من جهة
الجنين بالوريد الباب وبالاجوف السفلي فالشرايين والوريد
السرى متى وصلت الى المشيمة تنقسم الى شبكات شعرية
تدخل بواسطة فلقتى المشيمة الجنينية فى مشيمة الام متعشقة
وبذلك تلامس بعض أوعية الجهتين بعضا وبهذه الملامسة
تحصل المبادلات الغذائية بين الام والجنين .

﴿ فصل يشتمل على أطوار نمو أعضاء الجنين وأنسجته
فى الازمان المختلفة من الحياة الرحمية وينتظم ذلك فى أمور ﴾

(الأول) فى آخر الاسبوع الثانى يتكون الامنيوس
والحوصلة السرية والحبل الظهرى والميزاب النخاعى والقلب

(الثانى) في مبدإ الاسبوع الثالث يظهر القوس الأول
البلعومى ولطخ الفقرات الاولية والانبعاج الفمى والدورة
الاولى وفى منتهاه تظهر الحوصلة السجقية واجسام ولف

الاولية وتلتحم الازرار الفكية السفلي ويظهر الكبد وتكون القسي الثلاثة البلعومية الاخيرة

(الثالث) فى الاسبوع الرابع تصل الحوصلة السرية الى تمام نموها وتظهر ازرار الطرف الذنبي وازرار الاطراف العليا والسفلى والفتحه الشرجيه والجيب التناسلي البولى وينفصل القلب الى يمينى ويسارى وتظهر العقدة الشوكيه والجذور المقدمه النخاعيه والحفر السمعيه والرئتان والبنكرياس

(الرابع) فى الاسبوع الخامس تصير الحوصلة السجقيه وعائيه في جميع امتدادها وتظهر آثار اليدين والقدمين الاوليه وتنقسم الاورطى الاولى الى أورطي أصلى وشريان رئوى وتظهر قناة موللر والغـدة التناسليه وتتعظم الترقوة ويظهر غضروف ميكل ويتعظم الفك السفلي

(الخامس) فى الاسبوع السادس تنتهى الوظيفه الفسيولوجيه التى كانت تؤديها الحوصلة السريه وتزول الشقوق البلعومية وتظهر العضلات ويصير العمود الفقرى والجمجمة والاضلاع غضروفيه وتظهر الجذور الخلفية النخاعيه

وأغشية المراكز العصبية والكليتين والمثانة واللسان والحنجرة والغدة الدرقية والجرثومات السنية والحدية والقنوات التناسلية

(السادس فى الاسبوع السابع) تظهر فيه النقط العظمية التي للاضلاع وعظم اللوح وجسم العضد والعجز والقصبة والحنكي والفكي العلوى

(السابع في الاسبوع الثامن) يتميز العضد من الساعد والفخذ من الساق وتظهر الميازيب بين الاصابع ومحفظه البلورية والغشاء الحدقي ويتم انفصال البطنيات القلبية ويبتدئ تكون حاجز الاذينات وتظهر الغدد اللعابية وكذا الغدد التى فوق الكلى والطحال وتصير الحنجرة غضروفية وكذا جميع أجسام الفقرات وتظهر نقط تعظم جسم الكعبرة والزند والشظية والحرقفة ويتم التحام نصف القبوة الحنكية العظمية

(الثامن في الاسبوع التاسع) يظهر الجسم المضلع والتامور ويتميز كل من المبيض والخصية ويتكون الميزاب التناسلى وتظهر النقط العظمية الاولية التى لاجسام الفقرات وقسيها ونقطة الجبهى والميكمه والوجنى ونقط عظام رسغ اليدين

والقدمين والسلاميات ويتم التحام القبوة الحنكية وتظهر الحوصلة المرارية

(التاسع في الشهر الثالث) تتكوّن المشيمة الجنينيـة ويزول الطرف الذنبي وتتميز الاعضاء التناسـلية الظاهرة في الذكر والانثي وتنقسم الفتحة البوليـة التناسلية الى جزئين وتلتحم القسى الغضروفيـة فى القسم الظهرى وتظهر النقط العظمية الاولية التى لـكل من العظم المؤخرى والوتدي والظفري وعظام الانف والجزء القشرى الصدغى والنقط الحجاجيـة التى للفك العلوي والورك وتتكوّن الخصيتان وقنطرة قارول وفرجة سلفيوس وتتكوّن الاظافر والشعر والغدة الثديية ولسان المزمار وتنضم الخصـية الى قناة ولف وأجسام ولف وتظهر البروستتا

(العاشر في الشهر الرابع) يتم التحـام القسى الفقـرية الغضروفية وتتكوّن النقط العظمية التي لجسم الفقرات الاولية العجزية والعانة وتتعظم المطرقة والسندال ويظهر الجسم المندمل والصفيحة الحلزونية الغشائية التى للقوقعـة وغضروف بوق

استا كيوس والدائرة الطبلية ويظهر شحم المنسوج الخلوى تحت الجلد واللوزتان وينسد الميزاب التناسلي ويتكوّن الصفن والقلفة

(الحادى عشر فى الشهر الخامس) تبتدئ النقطة العظمية التى لجسم المحورية والنتو النابى والنقط الجانبية التى للفقرة الاولي العجزية والنقط العظمية المتوسطة التي للفقرة الثانيـة والنقط العظمية التي للكتل الجانبيـة التى للمصفاة وتتعظم الصخرة والركاب والجراثيم السنيـة الخالدة ثم عضو كورتى ويظهر شعر الرأس وغدد العرق وغدد برونر وغدد المعدة واللوزتان وغدد قاعدة اللسان والعقد اللينفاوية ويتحدد كل من المهبل والرحم

(الثانى عشر في الشهر السادس) تظهر النقط العظمية التى للنتوات المستعرضة التى للفقرة السابعة العنقية والنقط الجانبية التى للثانية العجزية والنقط المتوسطة التى للثانية العجزية وتبرز الزاوية الفقـرية العجزية وتظهر النقط العظميـة التى لجسم القص والقصبة ويظهر النصفان الكرويان اللذان للدماغ وحلمات الادمة والغدد الدهنية وتتخلص الحافة السائبة

التى للظفر من الطبقة القرنية التى للجلد وتظهر لطخ بيير وتصير جدر الرحم ذات سمك

(الثالث عشر في الشهر السابع) تظهر النقط العظمية الاضافية التى للفقرة الاولى العجزية والجانبية التى للثانيـة والمتوسطة التى للرابعة والنقط العظمية التى للقطعة الاولى من جسم القص والنقطة العظمية التي للقنزعى ويزول غضروف ميكل وتظهر اللفائف المخية وحبال رايل وتنفصل الحدبات التوأمية الاربع ويزول الغشاء الحدقي وتدخل الخصية فى المستطيلة الغمدية البرتيونية

(الرابع عشر في الشهر الثامن) تظهر النقط العظمة الاضافيـة الجانبية والمتوسطة التى للفقرة الثانيـة العجزية والجانبية التى للرابعة

(الخامس عشر في الشهر التاسع) تظهر النقط العظمية الجانبية التى للفقرة الخامسة العجزية ونقط القرين المتوسط التى للمصفاة ونقطة جسم العظم اللامى ونقط قرونه الكبيرة ثم النقط العظمية التى لكل من القطعة الثانيـة والثالثة اللتـين

لعظم القص والنقطة العظمية التي للطرف السفلي الذي لعظم الفخذ ويتعظم محور القوقعة والصفيحة الحلزونيـة وتنفتح الاجفان وتنزل الخصيتان فى الصـفن * (فاما) نمو الجنين وكيفية تكوين منسوجاته المختلفة فبينان فى فن التشريح مع الاحكام والاتقان * وأما وزن الجنين وطوله فى الازمان المختلفة من الحياة الرحمية فسنأتى على بيانهما على سبيل الاختصار بعد ذكر وظائف الجنين

﴿ الباب السابع في وظائف الجنين ﴾

﴿ الدورة الجنينية ﴾

يمكن تقسيم الدورة الجنينية الى دورة أولى ودورة ثانية فالاولى تظهر أوائل آثار الجهاز الوعائى الدموى تقـريباً مع ظهور النخاع الشوكي وهذه الآثار تنمو فى الوريقة الوعائية المسماة بالوريقة المتوسطة للبلاستودرم في حـدود القوس الجرثومي فى اليوم الخامس عشر من نمو البويضـة والآثار المذكورة مكونة من أوعية على شكل دائرة تسمى بالجيب الانتهائى الذى منه تخرج فروع وعائية تنتشر موزعة في جسم

المضغة وفروع وعائية أخرى تغطي جميع السطح الظاهر الذي للوريقة الباطنة التى للحوصلة البلاستودرمية التى تستحيل بعد الى حوصلة سرية فالفروع التى تنتشر موزعة في المضغة تتحد بالقلب الموضوع فى القسم الدماغي الذى نما معها في زمان واحد كل فى محله وفى هذا الوقت يكون القلب مكوّنا من تجويف واحد وبعد قليل يستطيل وينحنى على هيئة الاس اللاطينية * ومتى تكوّنت الدورة الاولى يتحرك الدم فى جهازها الوعائى البسيط بواسطة الانقباضات القلبية *فالقلب الذي شكله كشكل الاس اللاطينية يوجد له طرفان علوى وسفلي فالعلوى ينشأ منه شريانان يسميان بقوسى الاورطة ينحنيان بعد منشئهما ويتجهان الى أسفل ملاصقين للعمود الفقري من الامام ثم يجتمعان بعضهما ببعض بعد قليل فيكونان جذعا واحدا الذى متى وصل الي وسط المضغة ينقسم ثانياً الي فرعين يسميان بالشريانين الفقاريين الخلفيين اللذين يكوّنان بعدُ الشرايين الحرقفية ومن الشرايين الفقارية الخلفية تنشأ فروع تنتشر موزعة في أنسجة المضغة الآخذة فى النمو التي

من جملتها شريانان كبيران يخرجان من السرة المتكوّنة حديثا فيتفرعان ويتضمان بعضهما الى بعض على سطح الحوصلة السرية وهذه الشرايين تسمى بالسرية الماساريقية وفروعها آخر أمرها تذهب الى الجيب الانتهائى الذى منه تتكون الاوردة السرية الماساريقية التى يتكوّن جذعان منها يدخلان فى فتحة السرة ذاهبان الى جسم الجنين ثم ينتهيان فى الطرف السفلي الى القلب واذا نظر الانسان نظرا صحيحا فى الفروع الشريانية التى للقسى الاورطية المنتشرة الموزعة فى جسم الجنين يرى انها أقل حجما من الفروع المنتشرة الموزعة على سطح الحوصلة السرية فينتج مما ذكر أن الدورة الاولي يكون معظمها خارج المضغة أى فى الحوصلة السرية ولهذا تكون قصيرة المدة مثلها وتزول معها بسبب ضمور الاوعية السرية الماساريقية وفى هذا الوقت لايبقي منها الا قطعة الشريان الماساريقى في باطن المضغة والوريد الماساريقى الذي يكوّن الوريد الباب بعد وحينئذ فتكون وظيفة الحوصلة السرية تغذيه المضغة بالنسبة الى الاوعيه الدمويه المنتشرة على سطحها التى تمتص

السائل الذى فى باطن الحوصلة لتوصله الى المضغه بواسطه الاوردة السريه الماساريقيه فكأنها تفعل ماتفعله المشيمه ومن أجل ذلك سماها بعضهم بالمشيمه الاولى هذا مايحصل في الانسان والحيوانات الثدييه وأما فى الطيور فتكون الحوصلة السريه دائمه حتي بعد خروج الجنين من البيضه لان مادة الصفرة تكون عظيمه الحجم فتخدم الكائن الجديد بتغذيته زمان التفريخ والايام التى تعقبه

﴿ الدورة الجنينه الثانيه ﴾

تبتدئ الدورة الجنينيه الثانيه متى زال كل تواصل بين المعى والحوصلة السريه في آخر الشهر الاول من الحياة الرحميه بتولد الحوصلة السجقيه ونموها بهيئه زر على الجزء السفلي الذى لمعى الجنين وهذه الحوصلة يوجد على سطحها فروع وعائيه كثيرة ومن أجل ذلك تنمو بسرعه لكي تصل الى وجه غلافات البيضه الباطن وهناك تفم أى تتحد أوعيتها مع الاوعيه المتولدة حديثا فى خمل السلى وبهذا التفم يتصل الجنين بأمه وذلك يحصل في الشهر الثانى من الحياة

الرحمية ومما ذكر يعلم أن الجزء الاخير من الشهر الاول من النمو توجد فيه الدورة السرية الآئلة الى الزوال والدورة السجقية المبتدأة حديثا التى هي مبدأ الدورة المشيمية وأوعية الحوصلة السجقية في مبدإ أمرها أربعة جذوع شريانان ووريدان ومتى تممت هذه الحوصلة وظيفتها أخذ أحد الاوردة في الضمور والاضمحلال ولا يزال كذلك مع الشريانين الي أن تنتهى الحياة الرحمية وهى المكونة لاوعية الحبل السري فالشرايين تتصل بالشرايين الحرقفية التى للجنين الآتية من فروع الاورطي النازلة وأما الوريد السرى فيتصل بالوريد الاجوف فى الجنين بواسطة القناة الوريدية وكذا يتصل بالوريد الباب * وفي الشهر الثانى من الحياة الرحميـة يتم تكوّن المجموع الوعائى الذي للجنين بحيث ان الدورة الثانية التى تستمر الى زمن الولادة تصل الى درجة كمالها فى أول الشهر الثالث وسنذكر كيفية تكوّن الاوعية المختلفة الخاصـة بهـذه الدورة على وجه الاختصار فنقول * قد سبق انا بينا ان القلب في مبدإ أمره يكون على شكل أنبوبة مستقيمة ثم ينحني شيئا فشيئا الي أن

يأخذ شكل الاس اللاطينية وحينئذ يصير جزؤه العلوى الناشئة منه الشرايين متوجها الى أسفل وجزؤه السفلى الذى يقبل الاوردة متوجها الى أعلى وحينئذ تظهر فيه انتفاخات ثلاثة الاول مايكوّن الازتيني والثانى مايكوّن البطين الايمن والثالث ما يكوّن بصلة الاورطى وهو الذى يستحيل بعد الى بطين يسارى وقت تكوّن الحواجز البطينية في آخر الشهر الثاني من الحياة الرحمية وأما تكوّن حاجز الاذينات فيتأخر الي الشهر الثالث أو الرابع ويكون غير واضح ومع ذلك فيشاهد اتصال بين الاذينات بواسطة ثقب بوتال الذي يستمر فى الجنين مدة الحياة الرحميه وبعد الولادة بقليل *فالقلب يخرج منه جذع واحد شرياني ينقسم الى أقواس اورطيه من جهة الدماغ بالتقدم في النمو بحيث يتكون منها جملة أقواس ثانوية تقابل الحدبات التي تكوّن بعدُ الوجه والعنق وهذه الاقواس بتنوعها تعطى قوس الاورطى والشريان الرئوى والشرايين تحت الترقوة والسباتيه وفروعها والذى يستحق التنبيه عليه هنا هو وجود التواصل بين الاورطى وبين الشريان الرئوي

بواسطة قناة تسمي بالقناة الشريانية التى تنسد بعد الولادة وجذعا الاورطة النازلة ينضمان بعضهما الى بعض فيكوّنان جذعاً واحداوهذا الذى يعطى الشرايين الحرقفية التى تعطى الشرايين السرية التى توصل الجنين بالمشيمة مدةالحياة الرحمية وهذان الشريانان ينسدان بعد الولادة ويحل محلهما حبلان ليفيان وأما الاوردة فانهاتنمو كالشرايين فى زمن واحد فالخاص منها في الجذع والاطراف ينمو كل فى محله كما تنمو الشرايين وأما الفروع الوريدية الاصلية فتكون فى مبدإ أمرها أربعة تستحيل فى التقدم فى النمو الى اثنين عظيمين ينفتحان فى الاذين الايمن الذى للقلب وهما الوريد الاجوف العلوى والاجوف السفلى اللذان يقبلان دم جميع اوردة أجزاء الجسم المختلفة ومتى تم تكوّن الدورة الثانية فالدم الآتى من المشيمة يتجه نحو الجنين بواسطة الوريد السرى الداخل فى تركيب الحبل السرى ويرجع الدم من الجنين الى المشيمة بواسطةالشرايين السرية لكن وجود كل من القناة الوريدية والقناة الشريانية يحدث شيئاً من التغير في الدورة الجنينية لايحدث فى البالغ

الا اذا فاجأه عرض أو قام به مرض (وسنذكر) الهيئة
التى بها يتحرك الدم فى الدورة الثانية فنقول . الدم يأتى من
المشيمة بواسطة الوريد السرى وبعد مروره فى فتحة السرة
ووصوله الى بطن الجنين ينقسم الى جزئين أحدهما يدخل
في الكبد بواسطة الفروع الوريدية التى تتصل بالوريد الباب
ثم ينصب فى الاجوف السفلي بواسطة الاوردة فوق الكبد
بعد مروره فيه والثاني يصل الى الوريد الاجوف السفلى
بواسطة القناة الوريدية والوريد الاجوف السفلى يصب دمه
في الاذين الايمن فوضع صمام استاكيوس على فوهة الوريد
الاجوف السفلى ووجود ثقب بوثال فيجعل جزء من الدم
يمر فى الاذين الايسر بواسطة ثقب بوثال ومنه الى البطين
الايسر ومنه الى الاورطي وفروعها التي من جملتها الاورطى
النازلة التى تخرج منها الشرايين السرية لكى توصل الدم الى
المشيمة لتحيونه فيها بظواهر الاندسموز أي الطيار الداخل
والاجزسموز أى الطيار الخارج للغازات والسائل الدموى
وأما الجزء الآخر فيمر من الفوهة الاذينية البطينية الى البطين

الايمن الذي بانقباضه يطرد الدم فى الشريان الرئوى ومنه الى الاورطي النازل بواسطة القناة الشريانيـة لان الرئة حينئذ لاتقبل دما الا لتغذيتها فقط وليس له صلاح بالتنفس لعدم وجود التنفس فى الجنين بخلافه بعد الولادة حيث يوجـد التنفس فيوجد صلاحه وأما الدم الوريدى الآتى من الاجزاء العليا التي للجنين بواسطة الوريد الاجوف العلوى فيصل الى الاذين اليمنى ومنه الى البطينى الايمن ومنه الى الشريان الرئوى ومنه الى قوس الاورطي بواسطة القناة الشريانية كما ذكرنا وحينئذ فالدم الآتى من المشيمة بالوريد السرى يعتبر دما شريانيا والدم الراجع من الجنين الى المشيمة بواسطة الشرايين السرية يعتبر دما وريديا فاستبان مما ذكر انه لا يوجد في المجموع الوعائي الذى للجنين نقطة فيها يكون الدم الشرياني نقيا أي خاليا مما يشوبه ويخالطه من الدم الوريدى ومع ذلك فالدم الآتى الى الراس والاطراف العليا وان كان دما مختلطاً بغيره الا أن الشرياني فيه أكثر من الوريدي وأما الدم الذي يتجه جهة الجذع والاطراف السفلى فاكثره وريدي ولذا نري ان

الراس والاطراف العليا تنمو بسرعة لانها تقبل دمها من الاورطى بواسطة الشرايين السباتيه والشرايين التى تحت الترقوة التى تأخذ دمها من الاورطي قبل أن تصب القناة الشريانية دمها فيه وأما الاطراف السفلى فتقبل دما شبيها بالدم الذى يتوجه بالشرايين السرية نحو المشيمة لاجل تحيونه فيها ٠

﴿ تغذية الجنين ﴾

من المعلوم ان البويضة تنمو قبل تولد الاوعية فيها لانه شوهد ان حجمها يزيد على الحال التى كانت عليها حينما كانت فى باطن حويصلة جراف وفي البوق ففى مبدإ أمرها كان حجمها ١ من ٧ من مللي من متر وحينما ظهرت الاوعية فيها صار حجمها قدر حجم البسلة فيمكن حينئذ أن يقال ان البويضة تغذت من المواد الخارجة معها من حويصلة جراف أو الآتية اليها من البوق حين مرورها فيه أومن الرحم عند وصولها اليه فهذا السائل البلاستيكى يمر من خلال أغشيتها ليغذيها ففى ذلك تزداد أقطار الحوصلة البلاستودرمية وكذا

تتغذى من المادة البلاستيكية التى بين وريقات البلاستودرم التى يتولد منها القلب والاوعية والعضلات بعد • ومتي تم تكوّن الدورة الاولى فتغذية البويضة تكون بواسطة الاوعية المتخلقة حديثا التى تمتص ما يلزم لتغذية البويضة من السائل الذى فى باطن الحوصلة السرية مثل ماتفعله الاوعيه الماساريقية فى الشاب بامتصاصها لمتحصلات الهضم المعدي المعوى ومتي تكونت الدورة الثانيه فمبادلات الغازات والسوائل تحصل بواسطه المشيمه الجنينيه لان أوعيتها تكون ملاصقه ومنضفرة مع أوعية المشيمة الأمية فالمواد الذائبة والغازات التى في دم الام تدخل في دم الجنين من خلال جدر أوعيته بظواهر الاندسموز وهو عبارة عن الطيار الداخل والأجزسموز وهو الطيار الخارج السائل والغازى لتغذية أعضائه ومنسوجاته وأما فضلات تغذيته فتمر من خلال جدر أوعيه مشيمته لتدخل فى جدر أوعيه مشيمه أمه لتخرج منها بالمفرزات والمتصعدات لانها صارت غير صالحه للتغذية ويتغذى الجنين مدة الحياة الرحميه من مادة جليكوجينيه

شبيهة بمادة الكبد توجد في المشيمة وفي خلايا البشرة الجلدية والمخاطية وهذه المادة تستمر الى آخر الشهر الرابع الذي فيه تظهر المادة الجليكوجينيه في الكبد بعد تمام نموه ثم تزول وحينئذ يمكن اعتبار المشيمة عضو تغذية وعضو تنفس لانها هي التي تكسب الدم الذى صار غير صالح لاستدامة الحياة أوصافا حيوية جديدة لتغذية الجنين وتكوين أعضائه ومنسوجاته وبعضهم تصور خطا ان الجنين يتغذي ويتنفس كالسمك من السائل الامنيوسى لكن التحاليل الكيماوية التي عملت في هذا السائل ابانت من جهة انه لايحتوي على مواد مغذية بل يحتوى على مواد فضلية كالبولينا وحمض البوليك واملاح أخري والصفراء احيانا وابانت من جهة أخري انه لايحتوي على أوكسجين ولاعلي حمض كربونيك وحينئذ لا يكون هذا السائل معدا للتغذية ولا للتنفس اذ التنفس يتم بواسطة المشيمة وانما تكون وظيفته ميخانكية محضة وهى وقاية الجنين من المؤثرات الخارجة التى تطرأ على الام في حركاتها المتنوعة .

﴿ افرازات الجنين ﴾

قد سبق انا قلنا ان أجسام ولف تنمو بسرعة عظيمة في مبدإ الحياة الرحمية بحيث انها تكتسب حجما عظيما بالنسبة الي الجنين وفي هذا الحين يكون لهذه الاجسام قناة مخرجة تتصل بالطرف السفلي الذي للقناة الهضمية مع تجويف الحوصلة السجقية التي تكوّن المستودع العام وبعد حين يرى ان الجزء المنتفخ الذى لعنق الحوصلة السجقية هو الذى يبقى دائما ليكوّن المثانة التى تتصل بالكلي الحالة محل جزء من أجسام ولف وقد شوهد ان الحوصلة السجقية في الطير وبعض الحيوانات الثديية تمكث فيها حينا من الدهر أكثر مما تمكث في الانسان وبامتحان سائلها وجد محتويا على حمض بوليك فمن ذلك استنتج بعضهم ان سائل الحوصلة السجقية هو سائل افرازات من أجسام ولف لانه يشبه الافراز البولى شبها تاما لان نمو الحوصلة السجقية يكون متعلقا بنمو الجنين لانها متكونة من زر وعائي خلوي ينشأ من وريقة البلاستودرم المتوسطة وينمو على السطح الباطن الذي لوريقتها الباطنة في

التجويف الحوضى المعوى وحينئـذ يمكن ان يقال ان سائل
الحوصلة السجقية يعتـبرسائل افرازجنيني . ولـكن من نظر
الى سائل الحوصلة السجقية وتأملهفي مبدئه يرى انه شفاف
وبتحليله وجد فيه جزء من الماء عظيم وقليـل من الزلال
وجليكوزأي سكر بقدر أربعة اجزاء من ألف جزء وبعض
املاح وهذه المشاهدة كانت فى اناث البقر لآخر الاسبوع
الثـامن من الحياة الرحمية ثم يصير عكرا ثم أصفر برتغانيـا
وتظهر فيـه ندف كثيرة ثم يزول بوقوع الحوصلة السجقية
فـي الضمور لجدرها تلتصق بالوجه الباطن الذي للبويضة
وعنقهـا يستحيل الى حبـل ليفي * فوظيفة سائل الحوصـلة
السجقية في الايام الاولى من الحيـاة الرحمية أمران أحدهما
تغذية البويضة بعد ضمورالحوصلةالسرية والثاني تمدد الحوصلة
السجقية لـكي تصل بسرعة الى الوجه الباطن الذى لغلافات
البيضة وهناك يحصل تواصل بالملامسة بين أوعيـة الجنين
وأوعية الام التي منها تتكون المشيمةالجنينية والامية والحبل
السرى ثم تبتدئ الحوصلة السجقية مع سائلها فى الاضمحلال

والزوال لانها تمت وظائفها وحينئذ تتولد الكليتان محل اجسام ولف وكذا الحالبان اللذان يتصلان من جهة بالكليتين ومن جهة أخرى بالمثانة وبذلك يتكون الجهاز البولي فالبول يفرز بالكليتين ثم يسيل فى الحالبين الى ان يصل الى المثانة ويخزن فيها وعند امتلائها يخرج جزء منه يختلط بالسائل الامنيوسى العائم فيه الجنين وفي بعض الاحيان يحصل تشوه خلقى بانسداد قناة مجرى البول فبذلك تتمدد المثانة تمددا بالغا يفضى الى تمزقها فيسكب البول فى تجويف البريتون . ويوجد في الجنين مدة الحياة الرحمية افرازان آخران غير الافراز البولي وهما الافراز الصفراوى والافراز الدهني فاما الافراز الصفراوى فيحصل فى أول الشهر الرابع من الحمل ويستمر الى آخر الحياة الرحمية فقد شوهدت الصفراء فى أول الشهر الرابع من الحمل في الجزء العلوى الذى للمعى الدقاق وشوهدت فى آخر الشهر السادس منه فى جميع امتداد المعى وقد أطلق عليها اسم العقى أى براز الجنين وشوهدت الحوصلة المرارية ممتلئة بالصفراء الآتية من افراز الكبد وفي هذا الزمن لا يكون للصفراء

والروافع العظمية التي يندغم عليها هذا المجموع لان الحركات
التي يفعلها الجنين تكون نتيجة الانقباضات العضلية التي ليست
ارادية الناتجة عن الافعال المنعكسة سواء كان فى العضلات
الملساء أم المخططة بدون مدخل للأرادة فيها وقد شوهد فى
الكلاب والقطط حركات تنفسية ليست دائمة ولا منتظمة
مادامت فى باطن أغشية البيضة والسائل الامنيوسى شبيهة
بحركات الاطراف وهذه الحركة التنفسية لا يكون القصد
منها ادخال سائل الامنيوسى فى الشعب أولا واخراجه منها
ثانيا لانه لا يحتوى على هواء ولا على غازات نفسية وكذا
حركات الشفتين فى الجنين وحركات الازدراد التى شوهدت
فى حين من الاحيان لان الجنين لا يتغذى من ماء الامنيوس
بل بواسطة أوعية الحبل السرى المتصل بالمشيمة الجنينية *
ومن جملة العضلات التى تنقبض فى الجنين الطبقة العضلية
المعوية والمثانية لاننا شاهدنا العقي وقت الولادة في الجزء السفلى
الذى للمعي الغليظ فوصوله الى هذا المحل لا يكون الا بواسطة
انقباض الطبقة العضلية المعوية لان الجنين فى الرحم يكون

منكس الراس غالبا وكذا المثانة تنقبض ويخرج منها جزء من البول بواسطة مسالكه ويختلط بالسائل الامنيوسى

﴿ الرحم مدة الحمل والغشاء الساقط ﴾

من المعلوم انه كلما نمت البويضة فى الرحم ينمو هذا العضو بنموها حتى أنه يأتي زمن يخرج فيه من التجويف الحوضى ويصعد الى أعلى فى التجويف البطني لانه فى آخر الشهر الثالث يرتفع قليلا عن ارتفاع العانة وفى الشهر السادس يصعد الى السرة وفى الشهر التاسع يصل الى حفرة المعدة أعني فى حذاء القولون المستعرض * وجدر الرحم قبل الحمل تكون رقيقة جدا وحين الحمل تكتسب سمكا غليظا فالشرايين والاوردة تكتسب حجما عظيما وتزداد انعراجاتها والغشاء المخاطي الرحمي يتنوع كثيراً وأخيرا متى تم نمو البيضة يرى انها تملأ تجويف الرحم وتكون محاطة بالغشاء المخاطي المغلف لجميع غلافاتها من الظاهر وهو المسمى بالغشاء الساقط الذى ينفصل شيأ فشيأ من الرحم عند الولادة ويخرج مع البيضة مصاحبا لغلافاتها . وبعضهم أثبت بتجاربه الكثيرة ان الغشاء

الساقط ليس شيأ آخر سوى البشرة المخاطية الرحمية التي تنمو وتتكاثر في كل دور حمل ثم تنفصل وتخرج الى الخارج مصاحبة لغلافات البيضة ثم يتجدد غيرها وهذه البشرة المخاطية تتركب من خلايا اسطوانية ذات اهداب اهتزازية ملاصقة للطبقة العضلية وانما تنفصل منها بواسطة نسيج خلوى متضام بعضه الى بعض رقيق ليس له سمك غليظ * ويوجد في سمك الغشاء المخاطي الرحمي غدد مخاطية مغطاة بطبقة بشرية وكذا يوجد فيه أوعية غزيرة لجميع الخلايا البشرية والغددية التى تزداد حجما حين الحمل تنفصل من الرحم وكذا تنفصل منه حين الطمث بطريقة دورية . وحين مرور البويضة الملقحة في قناة البوق يرى ان البشرة المخاطية الرحمية تكتسب حيوية جديدة بحيث انها تصير ضخمة مكونة لازرار متسعة فالبويضة حينئذ عند وصولها الى الرحم تجد تجويفه قد زال تقريبا بسبب زيادة انتفاخ غشائه المخاطي فتتثبت في احدى ثنيات هذا الغشاء في جزء قريب من البوق غالبا ولهذا يندر نزول البويضة الى عنق الرحم وحينئذ يرى انها تتثبت في هذا المحل ويكون

اندغام المشيمة معيبا لان التصاق المشيمة في هذا المحل يسبب نزفا رحميا كثير الخطر على الحمل والولادة

﴿ الحمل خارج الرحم ﴾

قد يحصل حينا من الاحيان بغير اطراد ولا على المعتاد ان البويضة متى انفصلت من حويصلة جراف فاما ان تبقى في تجويف البطن أو تقف فى البوق وتنمو في أحـدهما بحيث تقطع جميع اطوار نموها فيه وحينئذ يمكن تقسيم الحمل خارج الرحم الى ثلاثة انواع (النوع الاول) ما تثبت البويضة فيـه وتنمو فى تجويف البطن ويسمى بالحمل البطني (النوع الثاني) ماتثبت البويضة معه فى أحـد اجزاء البوق من جهة طرفه المبيضي ويسمى بالحمـل الانبـوبي (النوع الثـالث) ما تقف البويضة معـه في جزء البوق المـار فى نسيج الرحم وتنمو الى آخر زمان الحمل وهذا ما يسمى بالحمل الخلالي وكل من هذه الانواع الثـلاثة يوجـد فيـه افراد مختلفة بحسب الاجزاء المنضغطة بالجنين حـين نموه (فالاول) المسمى بالحمل البطني تارة يكون على سطح المبيض بعد اخصاب البويضة هناك لان

بعض المجربين شاهد الحيوانات المنوية على سطح المبيض وتارة أخرى يكون تثبت البويضة فى تجويف البطن لسبب من الاسباب كالانفعالات النفسانية من الخوف والغضب ونحوهما وكالسقطات التى تمنع انطباق شرافات البوق بطريقة محكمة على البويضة لادخالها في تجويف الصوان فتسقط بعد خروجها من حوصلة جراف واخصابها في تجويف البطن وتنمو فيه كما في الرحم وتتصل بجزء من جدر بطن الام الذى فيه تتكون المشيمة لتغذية الجنين واما الحمل في باطن البوق سواء كان فى طرفه المبيضى أو فى طرفه الرحمي فيحصل من وقوف البويضة في الاجزاء المختلفة من قناة البوق لاسباب غير معلومة على الحقيقة وانما شوهد هذا النوع من الحمل بعد التهاب الرباط العريض الذى للرحم وذلك لكون شرفات البوق تلتهب بالمجاورة بحيث انها تلتصق بجهة من الجهات فلا يمكنها انقبض على البويضة لتوصيلها الى الرحم وفي هذه الانواع تنمو البويضة تابعة جميع اطوارها ومع ذلك فهذا يعد من النوادر لان الجنين لا يمكث الا الى الشهر الخامس ثم

يموت وربما يموت قبل هذا الوقت والام تموت أيضا بسبب التهاب البريتون فيها وفى بعض الاحيان يتكون خراج متسع حول الجنين ينفتح تارة فى المثانة وتارة في المهبل وتارة في تجويف البطن فى مجاورة السرة وفى هذه الحالة يخرج الجنين مع القيح قطعة قطعة وقد يتم نمو الجنين فيخرج حينئذ بواسطة العملية القيصرية ولكن ذلك نادر *

﴿ طول الجنين ووزنه فى الازمان المختلفة التى ﴾
﴿ للحياة الرحمية ﴾

من المعلوم ان حركة نمو الجنين فى الايام التى تعقب الاخصاب تكون سريعة جداً لان بعضهم شاهد في بعض الطيور فى آخر أول يوم من التفريخ ان وزن الجنين صار أكبر مما كان عليه فى أول اليوم المذكور بتسعين مرة واما نموه فى اليوم الواحد والعشرين من مبدإ التفريخ فيكون جزأ من ستة من وزنه وهذه الظاهرة تحصل أيضاً فى الانسان والحيوانات الثديية بحيث يصعب على المجرب دراسة ظواهر نمو الجنين فيها فى أزمان الحمل الأولى ويخفى عليه علمها والوقوف

على حقائقها واذا نظر الى البويضة عند وصولها الى الرحم يرى ان حجمها لا يصل الى ملى واحد من المتر وبعد مكثها فى الرحم من اليوم المتمم للعشرين يوما الى الثلاثين يشاهد ان الجنين اكتسب نموا عظيما بان صار طوله نحو سنتى واحد من المتر وفى آخر الأسبوع الخامس يكون طوله سنتيا واحدا ونصف سنتى من المتر ويكون رأسه متميزا عن جسمه ويكون طوله قدر نصف طول الجنين فيبلغ نصف سنتي وربع سنتي من المتر ثم يبلغ طول الجنين بعد ستة أسابيع سنتيين اثنين من المتر تقريبا وفى هذا الحين يمكن انفصاله من متلمقاته والحبل السرى يكون طوله في هذا الزمن سنتيا واحدا من المتر والجنين الذى بلغ ثمانية أسابيع يكون طوله ستة وثلاثين مليا من المتر فاذا بلغ عشرة أسابيع كان طوله خمسة وأربعين مليا من المتر وكان وزنه خمسين جراما تقريبا وهى سبعة عشر درهما تقريبا فاذا بلغ ثلاثة أشهر بلغ طوله عشرة سنتيات من المتر وبلغ وزنه ثمانين جراما وهى نحو سبعة وعشرين درهما (بالسين المهملة قبل الباء الموحدة) واذا بلغ أربعة أشهر كان

طوله ثمانية عشر سنتيا من المتر ووزنه نحو سبعين درهما (بالمهملة قبل الموحدة) وهي مائتا جرام واذا بلغ خمسة أشهر كان طوله خمسة وعشرين سنتيا وكان وزنه حينئذ مائة وأربعين درهما وهي أربعمائة جرام واذا بلغ ستة أشهر كان طوله خمسة وثلاثين سنتيا ووزنه مائتين وأربعين درهما وهى سبعمائة جرام واذا بلغ سبعة أشهر كان طوله أربعين سنتيا من المتر ووزنه من مائتين وتسعين درهما (بالفوقانية قبل المهملة) الى ثلاثمائة درهم وخمسة وعشرين درهما أي من ألف ومايتى جرام الى ألف وثلثمائة واذا بلغ ثمانية أشهر كان طوله خمسة وأربعين سنتيا ووزنه من ستمائة وأربعين درهما الى ثمانمائة درهم أى من ألفى جرام الى ألفى جرام وخمسمائة جرام فاذا بلغ تسعة أشهر كان طوله من ثمانية وأربعين سنتيا الى خمسين سنتيا ووزنه من تسعمائة وستين درهما الى ألف ومائتين وثمانين درهما أى من ثلاثة آلاف جرام الى أربعة آلاف جرام وهذه الاطوال والاوزان انما هى على سبيل التقريب باعتبار الحد الوسط للجنين لا على سبيل التحديد تقريبه للحد الوسط للمولود وقد تزيد على ما ذكر

وقد تنقص عنه بحسب نمو كل جنين والا فقد بلغ طول الجنين عند ولادته ستين سنتيا من المتر ووزنه ألف درهم وتسعمائة درهم (بالفوقانية قبل المهملة) وعشرون درهما وتارة يكون طوله ووزنه أقل من الحد الوسط المذكور وينمو الطفل بعد الولادة نموا سريعا لأنه في السنة الأولى يزيد طوله من عشرة سنتيات من المتر الى عشرين سنتيا منه وفى السنة الثانية من ستة سنتيات من المتر الى سبعة سنتيات منه وفي السنة الثالثة الى الخامسة عشر يزداد نموه بانتظام بحيث انه يزيد طوله في كل سنة خمسة وخمسين مليا من المتر وفي السنة الخامسة عشرة الى العشرين تكون الزيادة قليلة وفى الخامسة والعشرين يتم نموه ويقف بعد ذلك الى الستين سنة فيبتدئ فى النقص منها الى الثمانين

﴿ الباب الثامن فى ظواهر الحمل والرضاعة ﴾

(علامات الحمل الطبيعى)

تنقسم علامات الحمل الطبيعى الى ظنية وعقلية وحاسية (فالأولى) تعتمد ظن حصول العلوق فى المرأة بعد الجماع

اذا لم يخرج السائل المنوى المخصب من أعضاء تناسلها الظاهرة وخرج الأحليل جافا على خلاف العادة فيه وقال ابقراط معتمدا ظنه ان المرأة متى حملت ذبلت عيناها وانخسفتا في تجويف الحجاج وأحاطت بها هالة زرقاء وصحب ذلك ظهور بقع فى الوجه وانتفاخ فى العنق قليل وقد يحصل فى بعض النساء حين الجماع الذى معه السائل المنوى المخصب لذة شديدة بحيث يعرف فى ذلك الحين العلوق والحمل في عينيها مع العلم بان هذه العلامات ونحوها لاتكون قطعية بل ظنية كما تقدم واما ما يسمونه بالعلامات العقلية فهى نتيجة تأثير العلوق فى وظائف البنية وفي الرحم وهى مهمة جدا لها شأن في التشخيص عظيم وهى سبع علامات (العلامة الأولى) انقطاع الطمث وهو من أهم العلامات تشاهد عادة فى ابتداء الحمل ولا سيما فى النساء اللاتي يحضن بانتظام ومع ذلك يمكن حصوله في غير وقت الحمل في النساء المصابات بفقر الدم (أى الانيميا) والخلوروز أى اللون الباهت ومع أحوال مرضية لأعضاء التناسل وتارة أخرى لا ينقطع الطمث فى أشهر الحمل الأولى

حتى انه قد يستمر الى آخر الشهر الثامن ولكنه نادر قليل
واذا نظر ناظر فى دم الحيض يرى انه يختلف فى الكم والكيف
اختلافا لا يكون مثله فى الدم الذى يسيل فى غير وقت الحمل
(العلامة الثانية) أن يضطرب الهضم ويضعف ولا يستقيم
أمره في بعض النساء متى علقن وتضعف شهوة الطعام فيهن أو
تعدم بالمرة وفي بعض الاحيان يحصل عندهن كراهية للاطعمة
وفي حين آخر يغشاهن غثيان وقيء يتكرران وخاصة صباحا
وربما دام ذلك شهرين أو ثلاثة ويندر أن يدوم زمان الحمل
كله وقد تصير شهوة الطعام فيهن الى شهوة كلبية أو تفسد
بالمرة حتى ان احداهن لتأكل الفحم والطباشير والطفل والطين
الابليز والمملح من الطعام ومتى نما الرحم ضغط على المستقيم
فاحدث امساكا متعاصيا ولا يحصل لهن اسهال الا نادرا
(العلامة الثالثة) أن يضطرب الافراز ولا ينتظم فى نوبه
متى علقن وخاصة في أولات الحمل الأول منهن أى البكريات
ويشاهد ان هالة الثدى فيهن تصير سمراء ويظهر فيها نقط
دُكْن وشىء من الدرن صغير يبلغ عشر درنات الى اثنتي عشرة

درنة وهو منسوب الى جمزئ وبالضغط عليه يخرج منه سائل مبيض ثم ينتفخ الثدى ويحس فيه بوخز مؤلم وتظهر تحت جلده أوردة غليظة ذاهبة من قاعدة الثدى الى حلمته وبالضغط على حلمة الثدي عند تقدم الحمل يخرج سائل لبني وقد تشاهد هذه الظاهرة في النساء اللاتي يلدن مرات وخصوصا في الشهر الرابع من الحمل * ومتى أخذ بول امرأة حامل ووضع في كوب ثم ترك ونفسه زمانا ظهر على سطحه فى اليوم الثانى قشرة رقيقة قزحية اللون شفافة محتوية على حبوب بلورية كثيرة لماعة تحدث عادة في البول من أول الشهر الثاني من الحمل واضحة قليلا ثم يكثر وضوحها فى الشهر الثالث منه الى السادس ثم يقل وضوحها في الأشهر الأخيرة منه ومع ذلك لا يكون فى جميع النساء الحوامل وربما كان ناشئا في بعض الأحيان من مرض بهن أو عرض * وقد يكون البول زلاليا فى بعض الحوامل وقليل الملح الكلسية ويظهر على جلد البطن بين السرة والعانة خط أسمر على مسير الخط الأبيض وهذا الخط يكون مهمّا جدا ولا سيما في المبكرات منهن ذوات الحمل

الأول لمن الذى لم يتقدمه حمل آخر وكلما ازداد حجم الرحم قام بالبطن لون مرمري ذو خطوط زرق متموجة حادثة من تمزق الطبقة المخاطية التى للادمة الجلدية وتمدد الأوعية الدموية وأحيانا يقوم بالجلد سمرة تعمه وتغور العين في الحجاج وتحيط بها هالة مغبرة كابية وتظهر لطخ مصفرة في الجبهة وحول الأنف وعلى العنق والصدر وقد يضاف الى ماذكر أن يسيل اللعاب غزيرا كثيرا وذلك موجب لنحافة جسم الحامل وهزاله غير ان ماذكر كله يزول وحده من بعد الشهر الثالث والغشاء المخاطي المهبلي يتلون باللون الاردوازى بسبب مايعوق الدورة الدموية وتظهر فيه حبيبات وفي آخر الحمل يسيل من بعض الحوامل سائل أبيض أو أخضر (العلامة الرابعة) أن يضطرب المجموع العصبي فى بعض الحوامل وذلك فى مبدإ الحمل أوفى مدته فيحصل ثوران فى تصورات المرأة فتتغير طباعها فتارة تحزن وتبكي وتارة تضحك بدون سبب يبعث على الضحك أوتقوم بها غيرة شديدة فتميل الى سوء الظن وتتخلق بسرعة وبعضهن يعرض له آلام عصبية

كالصداع والشقيقة ونحوهما وآلام في الاسنان والوجه وتهيج في أعضاء التناسل الظاهرة أكالا لذاعا وتارة يظهر في بعضهن أمراض عصبية كالاكلمبسيا والرقص السنجي والجنون والعربدة والكمتة (العلامة الخامسة) أن يحدث في الحامل اضطراب الدورة فالنبض عند الحامل يكون عادة سريعا ممتلأ صلبا والدم المستخرج بالفصد من الوريد تتكون منه جلطة دموية مندمجة ويصحب ذلك اعراض الامتلاء الدموي كالصداع وعسر التنفس والملل العام لكن هذا الامتلاء الدموي لا يكون حقيقيا دائما بل يكون مائيا في كثير من الحوامل ساكنات المدائن والامصار المتحضرات قصاف الابدان منهن ومن أجل ذلك يزول بالمقويات وقد شهدت التجربة ان دم المرأة الحامل يكون قليل الكرات الحمر في مبدإ الحمل وفي آخره تزداد ليفية الدم . وتشاهد الاوزيما في الاطراف السفلى وفي أعضاء التناسل الظاهرة بسبب نمو الرحم وضغطه على الاوعية الدموية الحرقفية وقد يحصل الدوالي في الاجزاء المتقدمة الذكر وتتولد أورام باسورية

بتكرر الحمل (العلامة السادسة) اضطراب التنفس متى زاد
حجم الرحم بنمو الجنين فيضغط على الاحشاء البطنية وهى
تضغط الحجاب الحاجز فحينئذ يحصل عسر فى التنفس مع
سعال متكرر وهذه الاعراض يكثر وقوعها خاصة في الشهر
الثامن ومبدإ التاسع غير ان التنفس يصير سهلا في الاسبوعين
الاخيرين من الحمل بسبب نزول الرحم فى الحوض الصغير
(العلامة السابعة) نمو البطن وانخفاض السرة فانه في الشهر الاول
من الحمل ينخفض الرحم في الحوض الصغير فتتفرطح البطن
ويزول تحدبها ويزداد تقعر السرة وتدوم هذه الحالة الى منتهي
الشهر الثانى وفى الشهر الثالث ينمو الرحم شيأ فشيأ خلف العانة
فيزداد حجم البطن واذا كانت المرأة الحامل نحيفة البنية
يشاهد فيها الورم المتكون من الرحم خلف جدر البطن وكبر
البطن وتحدبها انما يكون كل منهما واضحا كثيرا فى الحوامل
اللاتى قصرت قامتهن فاما الحوامل اللاتي طالت قامتهن
فيكون واضحا قليلا بسبب أمرين طول القطر العمودى
الذي للحوض فيهن وقلة بروز الفقرات القطنية فيهن واذا

بلغت الحامل الشهر السابع زال تقعر السرة واتسعت حلقتها وفي الشهر التاسع تبرز السرة وخاصة في الحامل التى تعانى من العمل ما يجهدها

﴿فصل فى علامات الحمل الحاسية وهي سبع سنأتى على بيانها علامة علامة ۰

تعرف هذه العلامات بجس البطن باليد وبالجس المهبلى بالاصبع وبالجس المستقيمي بالاصبع أيضا وبالاستقصاء بواسطة المسماع (العلامة الاولى) تغير عنق الرحم لان عنق الرحم يكون في غير زمان الحمل بارزا فى المهبل بقدر سنتى واحد من المتر من الامام وبقدر سنتى ونصف سنتى منه من الخلف ولان فتحة العنق السفلى المسماة بيوز القنومة تكون مستطيلة خطية ولها شفتان منتظمتان وخاصة في المبكرات ذوات الحمل الاول الذى لم يتقدمه حمل آخر فانه بعد العلوق يتغير قوام عنق الرحم وحجمه وشكله ووضعه ووجهته فقوام العنق يصير لينا شيأ فشيئاً الى العلو فيأخذ الغشاء المخاطى المغلف لبوز القنومة في اللين فى آخر الشهر الاول ويمتد اللين فى عنق الرحم الى العلو

في مقدار مليين اثنين من المتر في الشهرين الثالث والرابع ثم يلين العنق الى أن يبلغ لينه نحو نصفه في الشهر السادس ثم يلين العنق الى أن يبلغ ثلاثة أرباعه السفلى في الشهرين السابع والثامن ثم يلين العنق كله الى أن يصل الي فتحته الباطنة في الشهر التاسع . ومتي أخذ عنق الرحم في اللين تغير فيأخذ في الغلظ قليلا مع ازدياد في سمك جدره واتساع في جزئه المتوسط بسبب تمدده بمواد المفرزات التى في تجويفه ثم يقل طوله بالنسبة الى قرب فتحته الظاهرة من فتحته الباطنة وهذا مايشاهد في المبكرات اللاتي لم يتقدم حملهن حمل آخر وشكل العنق يصير مغزليا أو بيضاويا بعد ان كان مستطيلا وفتحته الظاهرة في المبكرات تضيق وتنفتح شفتاها ثم تأخذ شكلا مستديرا بعد أن كانت خطية وتنسد بمادة مخاطية بيضاء كثيفة القوام ذات رائحة خاصة واضحة جدا بتقدم الحمل وأما في غير المبكرات من النساء اللاتي حملن مرات فشكل العنق فيهن يكون قمعيا نظرا الى اتساع فتحته البسفلي أو الظاهرة لانها تفسح وتسمح لدخول الاصبع في تجويفه

فى مقـدار سنتيين اثنين من المتر الى أربعـه منه ومتى قرب الوضع وصل اللين الى الفتحه الباطنه للعنق التى تتمدد أيضا ومن أجل ذلك يزول العنق كله ولا يبقي الا فتحته الظاهرة مستديرة الشكل رقيقه الجدر . وأما عنق الرحم من حيث وضعه ووجهته فيكون فى الاشهر الثلاثة الاول من الحمل قريبا من فتحه المهبل متوجها الى الامام واليسار بسبب انخفاض الرحم فى الحوض الصغير ثم بعد ذلك يصعد الرحم ويتوجه قاعه الى الامام واليمين فيرتفع عنقه متوجها الي الخلف واليسار (العلامه الثانيه) تغير المهبل والجزء السفلى من الرحم من جهه مايعرض له فاذا وضع فى المهبل أصبع أحس بحرارة فيه قوية ونبض شرياني واضح كثيرا أو قليلا وأحس بازدياد حجم الرحم وثقله ولين قوامه فيصير شبيها بمثانة من الصمغ المرن (العلامه الثالثه) اذا جس مهبل الحامل بواسطه الاصبع وهى قائمة أو جاثيه علي ركبتيها ثم دفع الرحم الى العلو بطرف الاصبع فيرى ان الجنين يصعد الى العلو حتى يصدم جدر الرحم ثم يسقط وفي هذه الحالة يعود الي مكانه

الاصلي واحساس الاصبع بهذه الصدمة يكون واضحا اذا
كانت صدمة جدر الرحم بالاصبع قوية فجائية وتسمى هذه
الحالة بالهزة وأغلب المؤلفين يقابلها بما يحس به عند وضع كرة
صغيرة صلبة في مثانة ممتلئة بالماء معلقة على حامل ثم تصدم
المثانة بالاصبع في حذاء الكرة الموجودة فيها فترتفع الكرة
في ماء المثانة ثم تسقط على الاصبع الذى صدمها والهزة
لا تحصل الا اذا كان الجنين متحركا فى ماء الامنيوس ولا
سيما اذا كان رأسه متوجها الى أسفل وتكون واضحة جدا
من الشهر الخامس الى الشهر الثامن وأما فى مبدإ الحمل فلا
يمكن ادراكها لصغر الجنين وفي آخره لا يمكن الحصول عليها
لان الجنين يملأ تجويف الرحم فتتعسر أو تتعذر حركته ومن
أجل ذلك لا تحصل الهزة التى تقدم ذكرها وفي بعض
الاحيان تتولد أورام فى الرحم ينشأ منها هزة شبيهة بالهزة
المتقدمة (العلامة الرابعة) تغير وضع الجزء العلوى الذى
للرحم . من المعلوم ان الرحم في غير أوقات الحمل يكون
موضوعا فى تجويف الحوض الصغير على طول محور المضيق

السفلى لكن متى حصل الحمل يختفى ويصير ثقيلا موضوعا وضعا غائرا فى الحوض الصغير ثم تزداد حجمه فى الثلاثة الاشهر الاول من الحياة الرحمية وفى تلك الاشهر لا يرتفع الى العلو بسبب بروز الزاوية القطنية العجزية وفى مبدإ الشهر الرابع يرتفع الرحم بسرعة خارج الحوض الصغير ثم في آخره يرتفع قاع الرحم ارتفاعا أعلى من المضيق العلوى بحيث يرتفع الى أعلي العانة بنحو أربعة قراريط وفى الشهر الخامس يصل قاع الرحم الى السرة بحيث انها تكون أعلى منه بسنتى واحدمن المتر وفي الشهر السابع يصير أعلي من السرة مقدار ثلاثة قراريط وفي الشهر التاسع يصل الرحم الى القسم الشراسيفي ثم ينخفض فى الاسبوعين الآخرين من الحمل وبما ان السرة لاتوجد في جميع النساء فى حدود ثابتة بل يختلف وضعها بحسب كل امرأة وبحسب طول قامتها وقصرها ولهذا قامت العانة مقام نقطة ثابتة يعتبر منها مقدار ارتفاع الرحم . وكلما ارتفع الرحم مال قليلا الى الجهة اليمني لان رباطه العريض فى هذه الجهة يكون أقصر من رباطه

فى الجهة اليسرى وتكون الالياف العضلية فيه أكثر وأوفر . ولما كانت جدر البطن لا تحمل ثقل الرحم ولا تقاومه توجه قاعه الى اليمين والامام قليلا وقد يكون وضع الرحم محاذيا للخط المتوسط أو مائلا الى اليسار وبجس جدر البطن في مبدإ الحمل يرى ان الرحم متموج قليلا ويصير على شكل كروي بعد ما كان على شكل كمثروى ثم يصير فى آخر الحمل على شكل بيضاوى وبالقرع على قسم الرحم يحس باصميه (العلامة الخامسة) حركات الجنين وذلك ان للجنين حركتين حركة صناعية وحركة ذاتية فحركة الجنين الصناعية مايحس بها بواسطة الجس المهبلى وتسمى بالهزة وهى مايمكن الحصول عليها بوضع أصبع اليد اليمنى فى المهبل لأجل دفع الجنين بها الى العلوى ووضع اليد اليسرى على جدر البطن فالجنين يصدم الجدر البطنية وهي توصل الصدم الي اليد اليسرى ثم يعود الجنين الى وضعه الاول فيحس بسقوطه مادامت أصبع اليد اليمنى في المهبل وبهذا الذي ذكرنا تكون تلك الهزة أكثروضوحا من الهزة المتقدمة . وحركة الجنين

الذاتية ما يفعلها من ذاته بانقباضاته العضلية وهذه الحركة تشعر
بها المرأة الحامل عادة وتحس بها بعد الشهر الرابع ويندر ان
تحس بها قبل ذلك وأحيانا لاتحس بها الا بعد الشهر الخامس
فتكون فى مبدإ أمرها خفيفة ثم تقوي شيئاً فشيئاً كحركة
التموج أو الصدمة ويحس بها بوضع اليد على جدر البطن ويندر
ان تشعر الحامل باحساس كاذب يسبق حركة الجنين ويتقدم
عليها وهي ناشئة من أحد الأمرين امامن الانقباض التشنجي
الذى للرحم واما من مرور الغازات في الامعاء وفي بعض
الاحيان تلتبس حركة الجنين على الطبيب نفسه اذابحث عنها
بحثا لم يوفه حقه من التدقيق والداء المعروف بالرحا قد تلتبس
حركته بحركة الجنين فليعلم ولأجل تحريض الجنين على
الحركة بالصناعة يوضع الماء البارد أو الثلج أو الاتير على جدر
البطن أو يقرع قرعا خفيفا باحدى اليدين على جهة من البطن
حالة كون اليد الأخرى موضوعة على الجهة المقابلة لمحل القرع
فيتحرك الجنين (العلامة السادسة) النفخ المشيمي الذى يسمع
فى حذاء محل اتصال المشيمة بالرحم يبدأ فى الشهر الثالث ويكون

ثابتا فى محل واحد ومطابقا لنبض الحامل موافقا له وهو ناشئ من مرور الدم في أوعية المشيمة وهو الرأى المعول عليه وبعضهم نسبه الي مرور الدم في أوعية الرحم أو في أوعية ضغطها الرحم الذي صار عظيم الحجم وقد يكون هذا النفخ في غير ذوات الحمل وفي وقت ليس وقت حمل ويكون ناشئا اما عن ضخامة جدر الرحم أو عن أورام فيه اختلفت طبائعها (العلامة السابعة) ضربات قلب الجنين التى تسمع غالبا فى آخر الشهر الخامس أو في السادس ونادرا فى مبدإ الرابع وهذه تتعلق بوضع الجنين وبقوته الحيوية ولأجل سماعها على الوجه الأتم تستعمل المستقصية أو المسماع وعدد ضربات قلب الجنين في الدقيقة الواحدة من ١١٠ ضربات الى ١٦٠ ضربة والغالب ان يكون عددها ١٣٠ ضربة وبعضهم زعم انها بطيئة فى الذكور سريعة في الاناث ولا يمكن تعيين محل خاص من جدر البطن لسماع ضربات قلب الجنين فيه لأنها تسمع في محال مختلفة بحسب وضع الجنين في الرحم والغالب انها تسمع على يسار الخط الابيض أو فى وسط خط وهمي يمتد من السرة الى

الشوكة الحرقفية المقدمة العليا (فيما ذكر) يستنتج أن نبض الجنين يكفى فى تشخيص الحمل لكنه يتعسر أو يتعذر في بعض الايام سماع ضربات قلب الجنين اذا كان الجنين على وضع يكون قلبه معه متوجهاً جهة ظهر أمه

﴿ الباب التاسع فى كيفية نمو المولود ﴾

(فصل فى الولادة)

متى تم نمو الجنين ووصل الى الطور أي الحالة التى يعيش معها خارج بطن أمه أخذ فى الخروج منها الى الخارج بتسفل خاص يعبر عنه بالولادة وهى التي تحصل فى العادة الغالبة فى منتهى الشهر التاسع فى النوع الانساني أعني بعد حصول العلوق بمائتى يوم وسبعين يوما وخمسة أيام ومع ذلك فقد تغش النساء الحوامل في اليوم الذى تحصل فيه الولادة وذلك لكونهن يحسبن مبدأ حملهن من يوم اجتماع الرجل باحداهن مع ان زمن مرور البويضة في البوق بعد خروجها من حويصلة جراف الى وصولها الى الرحم من ثمانية أيام الى اثنى عشر يوما تقريبا . وفي بعض الاحيان قد تكون مدة

الحمـل سبعة أشهر أو ثمانية أشهر وفي هاتين الحالتين يعيش
الطفل خارج بطن أمه ولـكن حياته تكون مهددة محفوفة
محاطة باخطار شتى فى الايام الاولى وهذه هي الولادة المعجلة
وقد تكون مدة الحمل ستة أشهر أو ستة أشهر ونصف شهر
ويعيش الجنين المولود بفعل الوسائط اللازمة ورعايته ولـكن
الغالب ان الجنين اذا خرج من بطن أمه قبل تمام الشهر السابع
لايعيش فى الجو الجديد وهذا مايعبر عنـه بالاجهاض الذى
تارة يكون طبيعيا لسبب من الاسـباب التى تعرض للحامل
من حيث هي حامـل وتارة يكون صناعيا حاصلا من المولد
نفسه وذلك فى الاحوال التى فيها يكون القطر المقدم الخلفى
للحوض خمسة سنتيات من المتر ونصف سنتي منه وتارة يكون
بعد جناية لاخفاء الحمل كليا وهذا مايعبرعنه بالاجهاض الجنائي
وعند الولادة يكون الجنين محاطا باغشيته وعائمـا في السائل
الأمنيوسى والرحم فى هذا الوقت يكون ذا شكل بيضاوى
طرفه الدقيق الى الأسفل وهذا الشكل يطابق اقطار الحوض
وتجويف البطن لان رأس الجنين تكون متوجهة الى أسفل

ومقعدته الى أعلى والاطراف السفلى منثنية حـذاء مفاصلها كل طرف منها حذاء مفصله فالفخذان منثنيان ملاصقين للبطن وأخمصا القدمين يتوجهان الى العلو بحيث يوازيان وضع المقعدة وكذلك الأطراف العليا تكون منثنية ملاصقة للصدر وفى بعض الاحيان يكون رأس الجنين متوجها الى أعلى ومقعدته متوجهة الى أسفل أو يكون الجنين نفسه موضوعا عرضا فى تجويف الرحم فيكون خروجه بتسفله بأحد جنبيه اما باليمين واما باليسار والولادة على هذه الاوضاع النادرة تعد ولادة غير طبيعية وحينئذ يجب ان تسعف الوالدات اللائي أدركهن المخاض وأجنتهن على وضع من هذه الاوضاع النادرة بالجراحة الولادية . وتتقدم على الولادة فى العادة آلام في أيام تكون فى قسم الكليتين تأتي على نوب متفرقة منتظمة تارة وغير منتظمة تارة أخرى بعيدا بعضها من بعض وغير بعيد مرة أخرى وهذه الآلام لا تلزم موضعا واحدا بل تنتقل من موضع الى آخر مع كونها قريبة من الحوض وهي ناشئة من الانقباضات العضلية الرحمية التي تكون فى مبدإ أمرها

ضعيفة بعيدا بعضها من بعض وحينئذ أخذت الولادة تبتدئ وحينئذ يزيد الافراز المخاطي المهبلي لكي يندى مسالك مرور الجنين . واذا وضعت أصبع في المهبل أحس صاحبها بتمدد عنق الرحم ثم أغشية الجنين تبرز فيه على هيئة فتق يسمى بجيب المياه وهذه الأغشية تتمزق احيانا من شدة الانقباضات الرحمية وحينئذ يخرج السائل الامنيوسي الى الخارج . وفي بعض الاحيان يتمزق جيب المياه قبل ان يتمدد عنق الرحم تمددا كافيا في خروج الجنين كافلاله فينشأ من ذلك تأخر الولادة وبطؤها وفي بعض الاحيان يتأخر تمزق جيب المياه بحيث لايخرج الانقط من السائل الامنيوسى قليلة وذلك ان رأس الجنين يقف فى فتحة عنق الرحم فيتأخر خروجه لذلك ومتى خرج من العنق خرج السائل الامنيوسي مع الجنين أو بعده واذا سال السائل الأمنيوسى الى الخارج ندّي جدر المهبل فسهل خروج الجنين منه وحينئذ تزيد الآلام فى المرأة ذات المخاض شدة مع مايضاف اليها من انقباض جميع العضلات البطنية وعضلات الجذع المنوطة بالمجهودات العنيفة فكثير

مايحصل لذات المخاض فى هذا الوقت حركات شهيقية تترى
يتلو بعضها بعضا ويقرب بعضها من بعض لأجل ان تعطى
تلك الحركات متانة للقفص الصدرى الذى ترتبط عليه عضلات
كثيرة فيكون حينئذ مركزا ثابتا للانقباض العضلى وفي هذا
الوقت يحتقن الوجه وتزيد ضربات القلب وتقوى ثم يخرج
رأس الجنين من عنق الرحم ويتقدم فى المهبل الى أن يصل
الى فتحة الفرج التى تكون أضيق من القناة المهبلية وحينئذ
يحدث عائقا جديدا ثم يخرج منها رأس الجنين لانها تتسع
شيئاً فشيئاً ويصاحب ذلك استرخاء أربطة ارتفاق العانة الذى
يحصل فى آخر أشهر الحمل وبعد خروج الرأس من فتحة الفرج
يخرج جسم الجنين خروجا سهلا لاصعوبة معه . ثم الجنين
اذا خرج من أعضاء تناسل أمه فتارة يخرج معه غلافاته والمشيمة
وهو أمر نادر جداً وتارة يخرج وحده تاركا غلافاته والمشيمة
داخل الرحم وهو الغالب وفي هذه الحالة يكون مرتبطا بأمه
بواسطة الحبل السرى والمشيمة وحينئذ يفصل الجنين من أمه
بواسطة ربط الحبل السري ثم قطعه بعد ان يترك منه خمسة

سنتيات من المتر طولا من جهة الجنين ثم تترك منه مقدار
صغير بعد الرباط من جهة الأم ويربط رباطا آخر ثم يقطع
الحبل بين الرباطين ووظيفة الرباطين المذكورين وفائدتهما
أن لايحصل نزيف فى الطفل المولود قاتل له ولا فى أمه ومع
ذلك فالربط هنا ليس من ضرورة الطفل لان الولادة تحدث
فى الطفل وظيفة جديدة وهى التنفس الرئوى الذى يحصل
فورا بعد خروجه الى الخارج . وفى بعض الاحيان يبقى
الطفل بين فخذى أمه عائشا متنفسا حتى تنفصل أغشية
البيضة والمشيمة من الرحم ففى هذه الحالة يرى ان الحبل
السرى يبتدى فى الضمور والجفاف قريبا من السرة لانه
لا يمر فيه دم من جهة الام وينفصل بطريقة شبيهة بسقوط
الخشكريشات وقد تبقى أغشية البيضة والمشيمة فى الرحم بعد
خروج الجنين منه وقطع الحبل السرى زمنا مختلفا مقداره
من ربع ساعة فلكية الى ساعة أو أكثر واحيانا يطول بضع
أيام وهى اما أن تنفصل من نفسها بواسطة تسفل خاص يبتدئ
في الايام الاولي للولادة أو تفصل بواسطة يد الجراح بان

يعمل جذبا خفيفا فى الحبـل السري الباقي فى أعضاء تناسل المرأة وهذه الأعمال ينبغى أن يحـترس فيها جداً خوفا من حصول نزيف قاتل أوانقـلاب الرحم لانه لاينبغي انفصال المشيمة باليد معجلا قبل رجوع الرحم الي نفسه كما تفعل ذلك القوابل الجاهلات لانه ينتج من ذلك نزيف مهلك * وبعد مجهودات الولادة العنيفة الشاقة يحصل في المرأة انحطاط فى القوي عام وفى هذا الوقت يرجع الرحم الى نفسه ويتناقص حجمه سريعاً ويحصل سيلان دم غزير عند انفصال المشيمة من الرحم بسبب تمزق أوعية كثيرة عندانفصال الغشاءالساقط معها و يستمر سيلان الدم بعدالولادة أياماً فيكون مبدأ أمره على هيئة جلط تخرج بآلام شديدة ثم يتناقص مقدار الدم ثم يصير مخاطياً محمراًثم يصير السائل زلالياً قليل اللون وهذا السيلان يزول كلياً بعد اثنى عشر يوماً أو خمسـة عشر يوماً من الولادة يتناقص حجم الرحم بحيث لايزيد عن ارتفـاق العانة وبعد الولادة بشهرين يرجع الرحم الى وضعه الطبيعى وعند ذلك يبتـدئ الطمث وتعود الاعضاء الى وظائفها *

هذا ماأردنا ايراده مما لخصناه من كلام الحكماء الفسلوجيين ووقع الاختيار عليه وما تركنا أكثر مما أوردنا فان الذى أوردنا قُلٌّ مِنْ كُثْرٍ وصفر من سفر وقطرة من بحر والله يقول الحق وهو يهدي السبيل وهو حسبنا ونعم الوكيل *

هذا كلام أطباء العصر قد شهد به عدولهم وتواتر نقله عن علمائهم ولم يختلف فيه كبيرهم ولا صغيرهم وكان مرجعه عندهم الى الحس والمشاهدة وليس برهان أصدق من برهان الحس والمشاهدة والعيان ولو عرضته على فقيه أو مفسر أو محدث ربما رماه بالافك والبهتان ولم يذعن لغير ما فطر عليه من غير علم ولا تحقيق ولو تعلم ذلك الفقيه أو المفسر أو المحدث علم الطب وشاهد ما شاهده الاطباء وهو اقوى علما وذكاء وأدبا ونبلا وفضلا لكان مؤيدا ومعضدا لما اتفق عليه الاطباء ولم يختلفوا فيه خصوصا لانه لم يكن مرجعه الى تفاوت الافهام فيه حتي يختلفوا بل مبناه كما علمت الحس والمشاهدة والعيان فكيف يكون معقولا لذي عقل لا يريد الا الانتصار للعلم أن يحمله جهله بالشيء على انكار مالو تعلم ذلك العلم لاثبته

ولم يسعه انكاره وليس ثم مانع عقلي ولا عادى ولا شرعي
ينفي ما ادعته الاطباء وذلك لان العقل لا يمنع تلك الدعوى
الصادقة لعدم استحالتها واما الشرع فلا يمنع تلك الدعوى
الصادقة أيضا بمقتضى قواعده لانها تقضى بان ما كان مرجعه
الى الحس والمشاهدة والعيان يرجع فيه الى عدالة المخبر به
وتواتر الخبر عن حصول المخبر به وهذا هو طريق الشرع
وما تقتضيه نصوصه وقواعده فان كان موافقا لما تقتضيه
نصوص الشرع وقواعده فيكون النقل والنص متفقين وان
وافق احتمالا من نقل الشارع تعين حمل المبهم عليه وان خالف
لفظه كان نص الشارع من المتشابه وقد ذكر الله سبحانه ان
من الكتاب الآيات المحكمات ومنه المتشابهات فقال هو
الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب
وأخر متشابهات فاختلف الاصوليون فى معني المتشابه من
جهة ان الراسخين في العلم يعلمون تأويله أولا يعلمونه فقال
فريق هو اسم لما انقطع رجاء معرفة المراد منه ولا يرجي
بدوه أصلا فهو فى غاية الخفاء كالمحكم فى غاية ظهور وقال

فريق والمعتزلة ان العلماء الراسخين أيضا يعلمون تأويله وحكمه اعتقاد ان المراد به حق وان لم نعلمه قبل يوم القيامة اما في يوم القيامة فيكشف عنه لكل واحد وهذا بالنسبة الينا اما بالنسبة اليه صلى الله تعالى عليه وسلم فانه كان معلوما له والا بطلت فائدة التخاطب ويصير التخاطب به كالتخاطب بالمهمل ومنشأ الخلاف بين الفريقين قوله تعالى وما يعلم تأويله الا الله والراسخون فى العلم يقولون آمنا به فعند الفريق الاول يجب الوقف على قوله الا الله وقول الله تعالى والراسخون فى العلم الى آخره جملة مبتدأة مستأنفة لانه تعالى جعل اتباع المتشابهات حظ الزائغين فيكون حظ الراسخين هو التسليم والانقياد واستدلوا بقراءة البعض الراسخون بدون واو والفريق الآخر يرى ان قوله تعالى والراسخون فى العلم معطوف على الله من قوله الا الله ويقولون حال منه فيكون المعني الا الله والعلماء الراسخون فى العلم وهو نزاع لفظي لان من يقول بعلم الراسخين فى العلم يريد أنهم يعلمون تأويله الظني * قال الرازى فى تفسيره (المسألة الثانية) اعلم ان القرآن دل على انه بكليته محكم ودل

على انه بكليته متشابه ودل على ان بعضه محكم وبعضه متشابه اما مادل على انه بكليته محكم فهو قوله الر تلك آيات الكتاب الحكيم الر كتاب أحكمت آياته فذكر فى هاتين الآيتين ان جميعه محكم والمراد من المحكم بهذا المعني كونه كلاما حقا فصيح الالفاظ صحيح المعاني وكل قول وكلام يوجد كان القرآن أفضل منه فى فصاحة اللفظ وقوة المعني ولا يتمكن أحدمن اتيان كلام يساوى القرآن في هذين الوصفين والعرب تقول فى البناء الوثيق والعقد الوثيق الذى لا يمكن حله محكم فهذا معنى وصف جميعه بانه محكم واما مادل على أنه بكليته متشابه فهو قوله تعالى كتابا متشابها مثاني والمعني انه يشبه بعضه بعضا في الحسن ويصدق بعضه بعضا واليه الاشارة بقوله تعالى ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا أى لكان بعضه واردا على نقيض الآخر ولتفاوت نسق الكلام في الفصاحة والركاكة واما مادل على ان بعضه محكم وبعضه متشابه فهو هذه الآية التي نحن في تفسيرها ولا بد لنا من تفسير المحكم والمتشابه بحسب أصل اللغة ثم من

تفسيرهما في عرف الشريعة أما المحكم فالعرب تقول حاكمت
وحكمت وأحكمت بمعني رددت ومنعت والحاكم يمنع الظالم
عن الظلم وحكمة اللجام هي التي تمنع الفرس عن الاضطراب
وفي حديث النخعي أحكم اليتيم كما تحكم ولدك أي امنعه
عن الفساد وقال جرير أحكموا سفهاءكم أي امنعوهم وبناء
محكم أي وثيق يمنع من تعرض له وسميت الحكمة حكمة
لانها تمنع عما لا ينبغي وأما المتشابه فهو ان يكون أحد الشيئين
مشابها للآخر بحيث يعجز الذهن عن التمييز بينهما قال الله
تعالى ان البقر تشابه علينا وقال في وصف ثمار الجنة وأتوا به
متشابها أي متفق المنظر مختلف الطعوم وقال الله تعالى تشابهت
قلوبهم ومنه يقال اشتبه عليّ الامر ان اذا لم يفرق بينهما ويقال
لاصحاب المخاريق أصحاب الشبه وقال عليه السلام الحلال بين
والحرام بين وبينهما أمور متشابهات وفي رواية أخرى
مشتبهات ثم لما كان من شأن المتشابهين عجز الانسان عن
التمييز بينهما سمى كل مالا يهتدى الانسان اليه بالمتشابه اطلاقا
لاسم السبب على المسبب ونظيره المشكل يسمى بذلك لانه

أشكل أى دخل في شكل غيره فأشبهه وشابهه ثم يقال لكل ماغمض وان لم يكن غموضه من هذه الجهة مشكل ويحتمل أن يقال انه الذى لا يعرف ان الحق ثبوته أو عدمه وكان الحكم بثبوته مساويا للحكم بعدمه في العقل و لذهن ومشابها له وغير متميز أحدهما عن الآخر بمزيد رجحان فلا جرم سمى غير المعلوم بانه متشابه فهذا تحقيق القول فى المحكم والمتشابه بحسب أصل اللغة فنقول الناس قد أكثروا من الوجوه فى تفسير المحكم والمتشابه ونحن نذكر الوجه الملخص الذي عليه أكثر المحققين ثم نذكر عقيبه أقوال الناس فيه فنقول اللفظ الذى جعل موضوعا لمعني فاما ان يكون محتملا لغير ذلك المعنى واما ان لا يكون فاذا كان اللفظ موضوعا لمعنى ولا يكون محتملا لغيره فهذا هو النص وأما ان كان محتملا لغيره فلا يخلو اما ان يكون احتماله لأحدهما راجحا على الآخر واما ان لا يكون كذلك بل يكون احتماله لهما على السواء فان كان احتماله لاحدهما راجحا على الآخر سمى ذلك اللفظ بالنسبة الى الراجح ظاهراً وبالنسبة الى المرجوح مؤولا

وأما ان كان احتماله لهما على السوية كان اللفظ بالنسبة اليهما
معا مشتركا وبالنسبة الى كل واحدمنهما على التعيين مجملا فقد
خرج من التقسيم الذى ذكرناه ان اللفظ اما أن يكون نصا
أو ظاهرا أو مؤولا أو مشتركا أو مجملا أما النص والظاهر
فيشتركان في حصول الترجيح الا ان النص راجح مانع من
الغير والظاهر راجح غير مانع من الغير فهذا القدر المشترك
هو المسمى بالمحكم وأما المجمل والمؤول فهما مشتركان في أن
دلالة اللفظ عليه غير راجحة وان لم يكن راجحا لكنه غير
مرجوح والمؤول مع انه غير راجح فهو مرجوح لا بحسب
الدليل المنفرد فهذا القدر المشترك هو المسمى بالمتشابه لان
عدم الفهم حاصل فى القسمين جميعا وقد بينا ان ذلك يسمى
متشابها اما لأن الذى لا يعلم يكون النفى فيه مشابها للاثبات
في الذهن واما لاجل ان الذي يحصل فيه التشابه يصير غير
معلوم فاطلق لفظ المتشابه على مالا يعلم اطلاقا لاسم السبب
على المسبب فهذا هو الكلام المحصل فى المحكم والمتشابه * ثم
اعلم ان اللفظ اذا كان بالنسبة الى المفهومين على السوية فههنا

يتوقف الذهن مثل القرء بالنسبة الى الحيض والطهر انما المشكل بأن يكون اللفظ بأصل وضعه راجحاً فى أحد المعنيين ومرجوحاً فى الآخر ثم كان الراجح باطلا والمرجوح حقا ومثاله من القرآن قوله تعالى واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فظاهر هذا الكلام انهم يؤمرون بأن يفسقوا ومحكمه قوله تعالى ان الله لا يأمر بالفحشاء رادّا على الكفار فيما حكى عنهم واذا فعلو فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها وكذلك قوله تعالى نسوا الله فنسيهم وظاهر النسيان ما يكون ضدًّا للعلم ومرجوحه الترك والآية المحكمة فيه قوله تعالى (وما كان ربك نسيا) وقوله تعالى (لا يضل ربي ولا ينسى) واعلم ان هذا موضع عظيم فنقول ان كل واحد من أصحاب المذاهب يدعي ان الآيات الموافقة لمذهبه محكمة وان الآيات الموافقة لقول خصمه متشابهة فالمعتزلى يقول قوله (فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) محكم وقوله (وما تشاؤن الا أن يشاء الله رب العالمين) متشابه والسني يقلب الأمر في ذلك فلا بد ههنا من

قانون يرجع اليه فى هـذا الباب فنقول اللفظ اذا كان
محتمـلا لمعنيين وكان بالنسـبة الى أحدهما راجحا وبالنسـبة
الى الآخر مرجوحا فان حملنـاه على الراجح ولم نحمـله على
الموجوح فهذاهو المحكم وأما ان حملناه على المرجوح ولم نحمله
على الراجح فهذا هوالمتشابه فنقول صرف اللفظ عن الراجح
الى المرجوح لابد فيه من دليل منفصل وذلك الدليل المنفصل
إماان يكون لفظيا واما ان يكون عقليا (أما القسم الأول)
فنقول هـذا انما يتم اذا حصل بين ذينك الدليلين اللفظيين
تعارض واذا وقع التعارض بينهما فليس ترك ظاهر أحدهما
رعاية لظاهر الآخر أولى من العكس * اللهم الا أن يقال
إن أحدهما قاطع فى دلالته والآخر غير قاطع فحينئذ يحصل
الرجحان أو يقال كل واحـد منهما وان كان راجحا الا أن
أحدهما يكون أرجح وحينئذ يحصل الرجحان الا أنا نقول
اما الأول فباطل لأن الدلائل اللفظية لاتكون قاطعة البتة
لأن كل دليـل لفظى فانه موقوف على نقل اللغات ونقـل
وجوه النحو والتصريف وموقوف على عدم الاشتراك وعدم

المجاز وعدم التخصيص وعدم الاضمار وعدم المعارض النقلى والعقلى وكل ذلك مظنون والموقوف على المظنون أولى أن يكون مظنونا فثبت ان شيئاً من الدلائل اللفظية لايكون قاطعا * وأما الثانى وهو ان يقال أحد الدليلين أقوى من الدليل الثاني وان كان أصل الاحتمال قائما فيهما معافهذا صحيح ولكن على هذا التقدير يصير صرف الدليل اللفظي عن ظاهره الى المعنى المرجوح ظنياً ومثل هذا لايجوز التعويل عليه في المسائل الأصولية بل يجوز التعويل عليه فى المسائل الفقهية فثبت بما ذكرناه أن صرف اللفظ عن معناه الراجح الى معناه المرجوح فى المسائل القطعية لايجوز الا عند قيام الدليل القطعى العقلى على ان ما أشعر به ظاهر اللفظ محال وقد علمنا فى الجملة ان استعمال اللفظ فى معناه المرجوح جائز عند تعذر حمله على ظاهره فعند هذا يتعين التأويل فظهر أنه لاسبيل الى صرف اللفظ عن معناه الراجح الى معناه المرجوح الا بواسطة اقامة الدلالة العقلية القاطعة على ان معناه الراجح محال عقلا * ثم اذا قامت هذه الدلالة وعرف المكلف انه ليس مراد الله تعالى

من هذا اللفظ ما أشعر به ظاهره فعند هذا لا يحتاج الى أن
يعرف أن ذلك المرجوح الذى هو المراد ماذا لأن السبيل الى
ذلك انما يكون بترجيح مجاز على مجاز وترجيح تأويل على
تأويل وذلك الترجيح لايمكن الا بالدلائل اللفظية والدلائل
اللفظية على ما بينا ظنية لاسيما الدلائل المستعملة فى ترجيح
مرجوح على مرجوح آخر يكون فى غاية الضعف وكل هذا
لايفيد الا الظن الضعيف * والتعويل على مثل هذه الدلائل فى
المسائل القطعية محال فلهذا التحقيق المتين مذهبنا ان بعد اقامة
الدلالة القطعية على ان حمل اللفظ على الظاهر محال لايجوز
الخوض فى تعيين التأويل فهذا منتهى ماحصلناه في هذا الباب
والله وليّ الهداية والرشاد

* المسئلة الثالثة *

في حكاية أقوال الناس فى المحكم والمتشابه (فالأول)
مانقل عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال المحكمات هى
الثلاث آيات التي في سورة الانعام قل تعالوا الى آخر الآيات
الثلاث والمتشابهات هى التى تشابهت على اليهود وهى أسماء

حروف الهجاء المذكورة في أوائل السور وذلك انهم أولوها على حساب الجمل فطلبوا أن يستخرجوا منها مدة بقاء هذه الأمة فاختلط الأمر عليهم واشتبه (وأقول) التكاليف الواردة من الله تعالى تنقسم الى قسمين منها مالا يجوز أن يتغير بشرع وشرع وذلك كالأمر بطاعة الله تعالى والاحتراز عن الظلم والكذب والجهل وقتل النفس بغير حق ومنها ما يختلف بشرع وشرع كاعداد الصلوات ومقادير الزكوات وشرائط البيع والنكاح وغير ذلك فالقسم الاول هو المسمى بالمحكم عند ابن عباس لان الآيات الثلاث في سورة الانعام مشتملة على هذا القسم * وأما المتشابه فهو الذى سميناه بالمجمل وهو ما يكون دلالة اللفظ بالنسبة اليه والى غيره على السوية فان دلالة هذه الالفاظ على جميع الوجوه التي تفسر هذه الالفاظ بها على السوية لا بدليل منفصل على ما لخصناه في أول سورة البقرة (القول الثاني) وهو أيضاً مروي عن ابن عباس رضى الله عنهما ان المحكم هو الناسخ والمتشابه هو المنسوخ (والقول الثالث) قال الاصم المحكم هو الذى يكون دليله واضحا لائحا مثل

ما أخبر الله تعالى به من انشاء الخلق في قوله تعالى فخلقنا النطفة علقة وقوله وجعلنا من الماء كل شيءٍ حي وقوله وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم والمتشابه مايحتاج في معرفته الي التدبر والتأمل نحو الحكم بأنه تعالى يبعثهم بعد ان صاروا ترابا ولو تأملوا لصار المتشابه عندهم محكما لان من قدر علي الانشاء أولا قدر على الاعادة ثانيا * واعلم ان كلام الاصم غير ملخص فانه ان عنى بقوله المحكم مايكون دلائله واضحة ان المحكم هو الذى يكون دلالة لفظه على معناه متعينة راجحة والمتشابه مالا يكون كذلك وهو اما المجمل المتساوى أو المؤول المرجوح فهذا هو الذي ذكرناه أولا وان عنى به ان المحكم هو الذى يعرف صحة معناه من غير دليل فيصير المحكم على قوله مايعلم صحته بضرورة العقل والمتشابه مايعلم صحته بدليل العقل وعلى هذا يصير جملة القرآن متشابها لان قوله فخلقنا النطفة علقة أمر يحتاج فى معرفة صحته الى الدلائل العقلية وان أهل الطبيعة يقولون السبب فى ذلك الطبائع والفصول أو تأثيرات الكواكب وتركيبات العناصر

وامتزاجاتها فكما ان اثبات الحشر والنشر مفتقر الى الدليل
فكذلك اسناد هذه الحوادث الى الله تعالى مفتقر الى الدليل
ولعل الاصم يقول هذه الاشياء وان كانت كلها مفتقرة الى
الدليل الا انها تنقسم الى ما يكون الدليل فيه ظاهرا بحيث يكون
مقدماته قليلة مرتبة مبينة يؤمن الغلط معها الا نادرا ومنها
ما يكون الدليل فيه خفيا كثير المقدمات غير مرتبة فالقسم
الاول هو المحكم والثاني هو المتشابه (القول الرابع) ان كل
ما أمكن تحصيل العلم به سواء كان ذلك بدليل جلي أو بدليل
خفي فذاك هو المحكم وكل مالا سبيل الى معرفته فذاك هو
المتشابه وذلك كالعلم بوقت قيام الساعة والعلم بمقادير الثواب
والعقاب في حق المكلفين ونظيره قوله تعالى يسألونك عن
الساعة أيان مرساها (المسئلة الرابعة) في الفوائد التى لاجلها
جعل بعض القرآن محكما وبعضه متشابها اعلم ان من الملحدة
من طعن في القرآن لاجل اشتماله على المتشابهات وقال انكم
تقولون ان تكاليف الخلق مرتبطة بهذا القرآن الى قيام الساعة
ثم انا نراه بحيث يتمسك به كل صاحب مذهب على مذهبه

فالجبرى يتمسك بآيات الجبر كقوله تعالى وجعلنا على قلوبهم
أكنة ان يفقهوه وفى آذانهم وقرا والقدرى يقول بل هذا
مذهب الكفار بدليل انه تعالى حكي ذلك عن الكفار فى
معرض الذم لهم في قوله وقالوا قلوبنا فى أكنة مما تدعونا
اليه وفي آذاننا وقر وفي موضع آخر وقالوا قلوبنا غلف وأيضاً
مثبت الرؤية يتمسك بقوله وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة
والنافي يتمسك بقوله لا تدركه الابصار ومثبت الجهة يتمسك
بقوله يخافون ربهم من فوقهم وبقوله الرحمن على العرش استوى
والنافى يتمسك بقوله ليس كمثله شيء ثم ان كل واحد يسمى
الآيات الموافقة لمذهبه محكمة والآيات المخالفة لمذهبه متشابهة
وربما آل الامر في ترجيح بعضها على بعض الى ترجيحات
خفية ووجوه ضعيفة فكيف يليق بالحكيم أن يجعل الكتاب
الذى هو المرجوع اليه فى كل الدين الى قيام الساعة هكذا
أليس انه لو جعله ظاهرا جليا نقيا عن هذه المتشابهات كان
أقرب الى حصول الغرض * واعلم ان العلماء ذكروا في فوائد
المتشابهات وجوها (الوجه الاول) انه متى كانت المتشابهات

موجودة كان الوصول الى الحق أصعب وأشق وزيادة المشقة توجب مزيد الثواب قال الله تعالى أم حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين (الوجه الثاني) لو كان القرآن محكما بالكلية لما كان مطابقا الا لمذهب واحد وكان تصريحه مبطلا لكل ماسوى ذلك المذهب وذلك مما ينفر أرباب المذاهب عن قبوله وعن النظر فيه فالانتفاع به انما حصل لما كان مشتملا على المحكم وعلى المتشابه فحينئذ يطمع صاحب كل مذهب ان يجد فيه مايقوى مذهبه ويؤثر مقالته فحينئذ ينظر فيه جميع أرباب المذاهب ويجتهد فى التأمل فيه كل صاحب مذهب فاذا بالغوا فى ذلك صارت المحكمات مفسرة للمتشابهات فبهذا الطريق يتخلص المبطل عن باطله ويصل الى الحق (الوجه الثالث) ان القرآن اذا كان مشتملا على المحكم والمتشابه افتقر الناظر فيه الى الاستعانة بدليل العقل وحينئذ يتخلص عن ظلمة التقليد ويصل الى ضياء الاستدلال والبينة أما لو كان كله محكما لم يفتقر الى التمسك بالدلائل العقلية فحينئذ كان يبقى فى الجهل والتقليد (الوجه

الرابع) لما كان القرآن مشتملا على المحكم والمتشابه افتقروا الى
الى تعلم طرق التأويلات وترجيح بعضها على بعض وافتقر
تعلم ذلك الى تحصيل علوم كثيرة من علم اللغة والنحو وعلم
أصول الفقه ولو لم يكن الأمر كذلك ما كان يحتاج الانسان
الى تحصيل هذه العلوم الكثيرة فكان ايراد هذه المتشابهات
لاجل هذه الفوائد الكثيرة (الوجه الخامس) وهو السبب
الاقوى فى هذا الباب ان القرآن كتاب مشتمل على دعوة
الخواص والعوام بالكلية وطبائع العوام تنبو فى اكثر الامر
عن ادراك الحقائق فمن سمع من العوام فى أول الامر اثبات
موجود ليس بجسم ولا بمتحيز ولا مشار اليه ظن ان هذا
عدم ونفى فوقع فى التعطيل فكان الاصلح ان يخاطبوا بالفاظ
دالة على بعض ما يناسب ما يتوهمونه ويتخيلونه ويكون ذلك
مخلوطا بما يدل على الحق الصريح فالقسم الاول وهو الذى
يخاطبون به في أول الامر يكون من باب المتشابهات والقسم
الثانى وهو الذى يكشف لهم فى آخر الامر هو المحكمات
فهذا ما حضرنا فى هذا الباب والله أعلم بمراده واذا عرفت هذه

المباحث فلنرجع الى التفسير أما قوله تعالى هو الذى أنزل عليك الكتاب المراد به هو القرآن منه آيات محكمات وهى التي يكون مدلولاتها متأكدة أما بالدلائل العقلية القاطعة وذلك فى المسائل القطعية أو يكون مدلولاتها خالية عن معارضات أقوى منها ثم قال هن أم الكتاب وفيه سؤالان (السؤال الاول) مامعنى كون المحكم أماً للمتشابه الجواب الام في حقيقة اللغة الاصل الذى منه يكون الشيء فلما كانت المحكمات مفهومة بذواتها والمتشابهات انما تصير مفهومة باعانة المحكمات لاجرم صارت المحكمات كالام للمتشابهات وقيل ان ماجرى فى الانجيل من ذكر الأب وهو انه قال ان البارى والقديم المكون للاشياء الذى به قامت الخلائق وبه ثبتت الى ان بعثها فعبر عن هذا المعنى بلفظ الاب من جهة أن الاب هو الذى حصل منه تكوين الابن ثم وقع في الترجمة ما أوهم الابوة الواقعة من جهة الولادة فكان قوله ما كان لله ان يتخذ من ولد محكما لان معناه متأكد بالدلائل العقلية القطعية وكان قوله عيسى روح الله وكلمته من المتشابهات التي يجب ردها الي

ذلك المحكم (السؤال الثانى) لم قال أم الكتاب ولا يقل امهات الكتاب الجواب ان مجموع المحكمات فى تقدير شئ واحد ومجموع المتشابهات في تقدير شئ آخر وأحدهما أم للآخر ونظيره قوله تعالى وجعلنا ابن مريم وأمه آية ولم يقل آيتين وانما قال ذلك على معني ان مجموعهما آية واحدة فكذلك ههنا ثم قال وأخر متشابهات وقد عرفت حقيقة المتشابهات قال الخليل وسيبويه ان أخر فارقت اخواتها في حكم واحد وذلك لان أخر جمع أخرى وأخري تأنيث آخر وآخر على وزن افعل وما كان على وزن أفعل فانه يستعمل مع من أو بالالف واللام فيقال زيد أفضل من عمرو وزيد الافضل فالالف واللام معاقبتان لمن في باب افعل فكان القياس ان يقال زيد آخر من عمرو أو يقال زيد الآخر الا انهم حذفوا منه لفظ من لان لفظه اقتضى معني من فاسقطوه اكتفاء بدلالة اللفظ عليه والالف واللام معاقبتان لمن فسقط الالف واللام أيضاً فلما جاز استعماله بغير الالف واللام صار آخر فأخر جمعه فصارت هذه اللفظة معدولة عن حكم نظائرها في

سقوط الالف واللام عن جمعها ووحدانها ثم قال فأما الذين
فى قلوبهم زيغ اعلم انه تعالي لما بين ان الكتاب ينقسم الى
قسمين منه محكم ومنه متشابه بيّن ان أهل الزيغ لا يتمسكون
الا بالمتشابه والزيغ الميل عن الحق يقال زاغ زيغاً أى مال ميلا
واختلفوا فى هؤلاء الذين أريدوا بقوله في قلوبهم زيغ فقال
الربيع هم وفد نجران لما حاجوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
في المسيح فقالوا أليس هو كلمة الله وروح منه قال بلى فقالوا
حسبنا فانزل الله هذه الآية ثم أنزل ان مثل عيسى عند الله
كمثل آدم وقال الكلبي هم اليهود طلبوا علم مدة بقاء هذه
الامة واستخراجه من الحروف المقطعة في أوائل السور وقال
قتادة والزجاج هم الكفار الذين ينكرون البعث لانه قال فى
آخر الآية وما يعلم تأويله الا الله وما ذاك الا وقت القيامة
لانه تعالى أخفاه عن كل الخلق حتى عن الملائكة والانبياء
عليهم الصلاة والسلام وقال المحققون ان هذا يعم جميع المبطلين
وكل من احتج لباطله بالمتشابه لان اللفظ عام وخصوص
السبب لا يمنع عموم اللفظ ويدخل فيه كل مافيه لبس واشتباه

ومن جملته ماوعدالله به الرسول من النصرة وماأوعد الـكفار من النقمة ويقولون ائتنا بعذاب الله ومتى تأتينا الساعة ولوما تأتينا بالملائكة فموهوا الامر على الضعفة ويدخل في هـذا الباب استدلال المشبهة بقوله تعالى الرحمن على العرش استوى فانه لما ثبت بصريح العقل ان كل ما كان مختصاً بالحيز فاما ان يكون في الصغر كالجزء الذي لا يتجزأ وهو باطل بالاتفاق واما ان يكون أكبر منه فيكون منقسما مركباً وكل مركب فانه ممكن ومحدث فبهـذا الدليل الظاهر يمتنع ان يكون الاله في مكان فيكون قوله الرحمن على العرش اسـتوى متشابها فمن تمسك به كان متمسكا بالمتشابهات ومن جمـلة ذلك استدلال المعتزلة بالظواهر الدالة على تفويض الفعل بالـكلية الي العبـد فانه لما ثبت بالبرهان العقلي ان صدور الفعل يتوقف على حصول الداعي وثبت ان حصول ذلك الداعى من الله تعالى ثبت انه متى كان الامر كذلك كان حصول الفعل عند تلك الداعيـة واجباً وعدمه عند عدم هذه الداعية واجباً فحينئذ يبطل ذلك التفويض وثبت ان الـكل بقضاء الله تعالى وقـدره ومشيئته

فيصير استدلال المعتزلة بتلك الظواهر وان كثرت استدلالا بالمتشابهات فبين الله تعالى في كل هؤلاء الذين يعرضون عن الدلائل القاطعة ويقتصرون على الظواهر الموهمة انهم يتمسكون بالمتشابهات لاجل ان فى قلوبهم زيغاً عن الحق وطلبا لتقرير الباطل واعلم انك لاترى طائفة فى الدنيا الا وتسمى الآيات المطابقة لمذهبه محكمة والآيات المطابقة لمذهب خصمه متشابهة ثم هول الامر في ذلك ألا ترى الى الجبائى فانه يقول المجبرة الذين يضيفون الظلم والكذب وتكليف مالا يطاق الى الله تعالى هم المتمسكون بالمتشابهات وقال أبو مسلم الاصفهاني الزائغ الطالب للفتنة هو من يتعلق بآيات الضلال ولا يتأوله على المحكم الذي بينه الله تعالى بقوله وأضلهم السامرى وأضل فرعون قومه وما هدى وما يضل به الا الفاسقين وفسروا أيضا قوله واذا أردنا ان نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها على انه تعالى أهلكهم وأراد فسقهم وان الله تعالى يطلب العلل على خلقه ليهلكهم مع انه تعالى قال يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ويريد الله ليبين لكم ويهديكم وتأولوا قوله

تعالى زينا لهم أعمالهم فهم يعمهون على انه تعالى زين لهم النعمة ونقضوا بذلك مافي القرآن كقوله تعالى ان الله لايغير مابقوم حتى يغيروا امابأنفسهم وما كنامهلكى القرى الا وأهلهاظالمون وقال وأماثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى وقال فمن اهتدى فانما يهتدى لنفسه وقال ولكن الله حبب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم فكيف يزين العمه فهذا ماقاله أبو مسلم وليت شعرى لم حكم على الآيات الموافقة لمذهبه بانها محكمات وعلي الآيات المخالفة لمذهبه بأنها متشابهات ولم أوجب في تلك الآيات المطابقة لمذهبه اجراءها على الظاهر وفي الآيات المخالفة لمذهبه صرفها عن الظاهر ومعلوم ان ذلك لايتم الا بالرجوع الى الدلائل العقلية الباهرة فاذا دل على بطلان مذهب المعتزلة الادلة العقلية فان مذهبهم لايتم الا اذا قلنا بانه صدر عنه احد الفعلين دون الثاني من غير مرجح وذلك تصريح بنفى الصانع ولا يتم الا اذا قلتم بانه سبحانه ما كان عالما بكيفيات الافعال فى الازل وذلك تصريح بتجهيل الصانع ولا يتم الا اذا قلنا بان صدور الفعل المحكم المتقن عن العبد لايدل على علم فاعله به فحينئذ يكون قد

تخصص ذلك العدد بالوقوع دون الازيد والانقص لا لمخصص
وذلك نفي للصانع ولزم منه أيضاً ان لا يدل صدور الفعل المحكم
على كون الفاعل عالما وحينئذ ينسد باب الاستدلال باحكام
أفعال الله تعالى على كون فاعلها عالما ولو ان أهل السموات
والأرض اجتمعوا على هذه الدلائل لم يقدروا على دفعها فاذا
لاحت هذه الدلائل العقلية الباهرة فكيف يجوز لعاقل ان
يسمى الآيات الدالة على القضاء والقدر بالمتشابه فظهر بما
ذكرناه ان القانون المستمر عند جمهور الناس ان كل آية توافق
مذهبهم فهى المحكمة وكل آية تخالفهم فهى المتشابهة وأما
المحقق المنصف فانه يحمل الامر بالآيات على أقسام ثلاثة
أحدها ما يتأكد ظاهرها بالدلائل العقلية فذاك هو المحكم
حقا وثانيها الذى قامت الدلائل القاطعة على امتناع ظواهرها
فذاك هو الذى يحكم فيه بان مراد الله تعالى غير ظاهره وثالثها
الذى لا يوجد مثل هذه الدلائل على طرفي ثبوته وانتفائه
فيكون من حقه التوقف فيه ويكون ذلك متشابها بمعنى ان
الامر اشتبه فيه ولم يتميز أحد الجانبين عن الآخر الا ان الظن

الراجح حاصل فى اجرائها على ظواهرها فهذا ماعندى فى هذا الباب والله أعلم بمراده * واعلم انه تعالى لما بين ان الزائغين يتبعون المتشابه بين ان لهم فيه غرضين فالاول هو قوله تعالى ابتغاء الفتنة والثاني هو قوله وابتغاء تأويله فأما الاول فاعلم ان الفتنة في اللغة الاستهتار بالشئ والغلو فيه يقال فلان مفتون بطلب الدنيا أى قد غلا في طلبها وتجاوز القدر وذكر المفسرون في تفسير هذه الفتنة وجوها أولها قال الاصم انهم متى أوقعوا تلك المتشابهات في الدين صار بعضهم مخالفا للبعض في الدين وذلك يفضي الى التقاتل والهرج والمرج فذاك هو الفتنة وثانيها ان التمسك بذلك المتشابه يقرر البدعة والباطل في قلبه فيصير مفتونا بذلك الباطل عاكفاً عليه لا ينقلع عنه بحيلة البتة وثالثها أن الفتنة في الدين هو الضلال عنه ومعلوم انه لافتنة ولا فساد أعظم من الفتنة فى الدين والفساد فيه * وأما الغرض الثاني لهم وهو قوله تعالى وابتغاء تأويله فاعلم أن التأويل هو التفسير وأصله فى اللغة المرجع والمصير من قولك آل الامر الى كذا اذا صار اليه وأولته تأويلا اذا صيرته اليه هذا معني

التأويل فى اللغة ثم يسمي التفسير تأويلا قال تعالى (سأنبئك بتأويل مالم تستطع عليه صبراً) وقال تعالى (وأحسن تأويلا) وذلك انه أخبار عما يرجع اليه اللفظ من المعني واعلم أن المراد منه انهم يطلبون التأويل الذى ليس في كتاب الله عليه دليل ولا بيان مثل طلبهم أن الساعة متى تقوم وان مقادير الثواب والعقاب لكل مطيع وعاص كم تكون قال القاضي هؤلاء الزائغون قد ابتغوا المتشابه من وجهين أحدهما أن يحملوه على غير الحق وهو المراد من قوله ابتغاء الفتنة والثاني أن يحكموا بحكم فى الموضع الذى لادليل فيه وهو المراد من قوله وابتغاء تأويله ثم بين تعالى ما يكون زيادة في ذم طريقة هؤلاء الزائغين فقال وما يعلم تأويله الا الله واختلف الناس في هذا الموضع فمنهم من قال تم الكلام ههنا ثم الواو فى قوله والراسخون فى العلم واو الابتداء وعلى هذا القول لا يعلم المتشابه الا الله وهذا قول ابن عباس وعائشة والحسن ومالك بن أنس والكسائى والفراء ومن المعتزلة قول أبي علي الجبائى وهو المختار عندنا والقول الثاني ان الكلام انما يتم عند قوله والراسخون فى

العلم وعلى هذا القول يكون العلم بالمتشابه حاصلا عند الله تعالى وعند الراسخين فى العلم وهـذا القول أيضا مروى عن ابن عباس ومجاهد والربيع بن أنس وأكثر المتكلمين والذى يدل على صحة القول الاول وجوه (الحجة الاولى) ان اللفظ اذا كان له معنى راجح ثم دل دليل أقوى منه على ان ذلك الظاهر غير مراد علمنا أن مراد الله تعالي ببعض مجازات تلك الحقيقة وفى المجازات كثرة وترجيح البعض على البعض لا يكون الا بالترجيحات اللغوية والترجيحات اللغوية لا تفيد الا الظن الضعيف فاذا كانت المسألة قطعية يقينية كان القول فيها بالدلائل الظنية الضعيفة غير جائز مثاله قال الله تعالى لا يكلف الله نفسا الا وسعها ثم قام الدليل القاطع على ان مثل هـذا التكليف قد وجد على ما بينا بالبراهين الخمسة في تفسير هذه الآية فعلمنا أن مراد الله تعالى ليس ما يدل عليه ظاهر هذه الآية فلا بد من صرف اللفظ الى بعض المجازات وفى المجازات كثرة وترجيح بعضها على بعض لا يكون الا بالترجيحات اللغوية وإنها لا تفيد الا الظن الضعيف وهذه المسألة ليست

من المسائل الظنيـة فوجب ان يكون القول فيها بالدلائل الظنية باطلا وأيضا قال الله تعالى الرحمن على العرش استوى دل الدليـل على أنه يمتنـع أن يكون الإله في المكان فعرفنا انه ليس مراد الله تعالى من هذه الآية ما أشعر به ظاهرها الا أن في مجازات هذه اللفظة كثرة فصرف اللفظ الى البعض دون البعض لايكون الا بالترجيحات اللغوية الظنية والقول بالظن فى ذات الله تعالى وصفاته غير جائز باجماع المسلمين وهذه حجة قاطعة فى المسئلة والقلب الخالي عن التعصب يميل اليه والفطرة الاصلية تشهد بصحته وبالله التوفيق(الحجة الثانية) وهو أن ماقبل هذه الآية يدل على أن طلب تأويل المتشابه مذموم حيث قال فاما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ولو كان طلب تأويل المتشابه جائزا لما ذم الله تعالى ذلك فان قيل لم لا لايجوز أن يكون المراد منه طلب وقت قيام الساعة كما فى قوله يسألونك عن الساعة أيان مرساها قل انما علمها عند ربي وأيضا طلب مقادير الثواب والعقاب وطلب ظهور الفتح والنصرة

كما قالوا لو ماتأتينا بالملائكة قلنا انه تعالى لما قسم الكتاب الى
قسمين محكم ومتشابه ودل العقل على صحة هذه القسمة من
حيث ان حمل اللفظ على معناه الراجح هو المحكم وحمله على
معناه الذى ليس براجح هو المتشابه ثم انه تعالى ذم طريقة من
طلب تأويل المتشابه كان تخصيص ذلك ببعض المتشابهات
دون البعض تركا للظاهر وانه لايجوز (الحجة الثالثة) ان الله
تعالى مدح الراسخين فى العلم بانهم يقولون آمنا به وقال في
أول سورة البقرة فأما الذين آمنوا فيعلمون أنه الحق من
ربهم فهؤلاء الراسخون لو كانوا عالمين بتأويل ذلك المتشابه
على التفصيل لما كان لهم في الايمان به مدح لان كل من عرف
شيئا على سبيل التفصيل فانه لابدوان يؤمن به انما الراسخون
في العلم هم الذين علموا بالدلائل القطعية ان الله تعالى عالم
بالمعلومات التى لا نهاية لها وعلموا أن القرآن كلام الله تعالى
وعلموا أنه لايتكلم بالباطل والعبث فاذا سمعوا آية ودلت
الدلائل القطعية على انه لايجوز أن يكون ظاهرها مراد الله
تعالي بل مراده منه غير ذلك الظاهر ثم فوضوا تعيين ذلك

المراد الى علمه وقطعوا بأن ذلك المعنى أى شئ كان فهو الحق والصواب فهؤلاء هم الراسخون فى العلم بالله حيث لم يزعزعهم قطعهم بترك الظاهر ولا عدم علمهم بالمراد على التعيين عن الايمان بالله والجزم بصحة القرآن (الحجة الرابعة) لو كان قوله والراسخون في العلم معطوفا على قوله الا الله لصار قوله يقولون آمنا به ابتداء وانه بعيد عن ذوق الفصاحة بل كان الاولى أن يقال وهم يقولون آمنا به أو يقال ويقولون آمنا به فان قيل في تصحيحه وجهان الاول ان قوله يقولون كلام مبتدأ والتقدير هؤلاء العالمون بالتأويل يقولون آمنا به والثانى أن يكون يقولون حالا من الراسخين قلنا أما الاول فمدفوع لان تفسير كلام الله تعالي بما لا يحتاج معه الى الاضمار أولى من تفسيره بما يحتاج معه الى الاضمار والثاني ان ذا الحال هو الذى تقدم ذكره وههنا قد تقدم ذكر الله تعالى وذكر الراسخين فى العلم فوجب أن يجعل قوله يقولون آمنا به حالا من الراسخين لا من الله تعالى فيكون ذلك تركا للظاهر فثبت ان ذلك المذهب لا يتم الا بالعدول عن الظاهر ومذهبنا لا يحتاج اليه فكان

هذا القول أولى (الحجة الخامسة) قوله تعالى كل من عند ربنا يعني انهم آمنوا بما عرفوه على التفصيل وبما لم يعرفوا تفصيله وتأويله فلو كانوا عالمين بالتفصيل في الكل لم يبق لهذا الكلام فائدة (الحجه السادسة) نقل عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال تفسير القرآن على أربعة أوجه تفسير لا يسع أحداً جهله وتفسير تعرفه العرب بالسنتها وتفسير تعلمه العلماء وتفسير لا يعلمه الا الله تعالى وسئل مالك بن أنس رحمه الله عن الاستواء فقال الاستواء معلوم والكيفية مجهولة والايمان به واجب والسؤال عنه بدعة وقد ذكرنا بعض هذه المسئلة في أول سورة البقرة فاذا ضم ماذكرناه ههنا الى ماذكرناه هناك تم الكلام في هذه المسئلة وبالله التوفيق* ثم قال الله تعالى والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وفيه مسائل (المسئلة الاولى) الرسوخ فى اللغة الثبوت في الشيء واعلم أن الراسخ فى العلم هو الذى عرف ذات الله وصفاته بالدلائل اليقينية القطعية وعرف أن القرآن كلام الله تعالى بالدلائل اليقينية فاذارأى شيئاً متشابهاً ودل الدليل القطعي على ان الظاهر ليس

مراد الله تعالى علم حينئذ قطعاً ان مراد الله شيء آخر سوى
مادل عليه ظاهره وان ذلك المراد حق ولا يصير كون ظاهره
مردوداً شبهة فى الطعن في صحة القرآن ثم حكى عنهم أيضاً
انهم يقولون كل من عند ربنا والمعني ان كل واحد من المحكم
والمتشابه من عند ربنا وفيه سؤالان (السؤال الاول) لو قال كل من
ربنا كان صحيحاً فما الفائدة فى لفظ عند (الجواب) الايمان بالمتشابه
يحتاج فيه الى مزيد التأكيد فذكر كلمة عند لمزيد التأكيد
(السؤال الثاني) لم جاز حذف المضاف اليه من كل (الجواب)
لان دلالة المضاف عليه قوية فبعد الحذف الامن من اللبس
حاصل ثم قال وما يذكر الا أولو الالباب وهذا ثناء من الله
تعالى على الذين قالوا آمنا به ومعناه ما يتعظ بما فى القرآن الا
ذوو العقول الكاملة فصار هذا اللفظ كالدلالة على انهم
يستعملون عقولهم في فهم القرآن فيعلمون الذي يطابق ظاهره
دلائل العقول فيكون محكما واما الذي يخالف ظاهره دلائل
العقول فيكون متشابها ثم يعلمون ان الكل كلام من لا يجوز
فى كلامه التناقض والباطل فيعلمون ان ذلك المتشابه لا بد

وان يكون له معني صحيح عند الله تعالى وهذه الآية دالة على
علو شأن المتكلمين الذين يبحثون عن الدلائل العقلية ويتوسلون
بها الى معرفة ذات الله تعالى وصفاته وأفعاله ولا يفسرون
القرآن الا بما يطابق دلائل العقول ويوافق اللغة والاعراب
واعلم ان الشيء كلما كان أشرف كان ضده أخس فكذلك مفسر
القرآن متى كان موصوفاً بهذه الصفة كانت درجته هذه الدرجة
العظمى التى عظم الله الثناء عليه ومتى تكلم فى القرآن من
غير ان يكون متبحراً فى علم الاصول وفى علم اللغة والنحو كان
فى غاية البعد عن الله ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم من
فسر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار * هذا كلام الرازي
فى تفسيره * أقول فثبت من هذا ان كلام الله سبحانه وتعالى منه
مالا يدرك معناه كل عالم على ماتقدم ولم يكن لهذا معنى الا الوقوف
عند حد أن ماخالف الحس والعيان من الآيات يحكم فيه بانه
من المتشابه الذي لا يدرك معناه وليس هذا قاصراً على أوائل
السور لانها لا تؤدى الى فتنة وضلال كما تؤدى الآيات الأخر
فان الذى يؤدى الى الفتنة والضلال أكثر من غيره ويكون

محل اشتباه وامتحان البشر به هو ما كان له معنى ظاهر لو عملنا به لأدى الى وقوع الفتنة والزيغ في العقيدة فمثل الآيات التى لا يسلم العقل معناها الظاهر ولا يذعن به لو أخذنا بما دلت عليه ألفاظها لأوقع ذلك الزيغ في قلوب كثير ممن ختم الله على قلبه بسبب ما يظنه من أن القرآن يخالف العقل ويستحيل صدقه فيتدرج بذلك الى انكار أنه من عند الله فيتم الكفر والضلال فاذا كان الله سبحانه وتعالى امتحن عباده بمثل تلك الآيات فكيف تكون سببا لان ننكر الحس والمشاهدة ونكذب بها قاطع الدلالة وهو ما تدركه حواسنا وندعي أن آيات الله سبحانه وتعالى معلوم تأويلها لنا ولكل مفسر ولا شك ان هذه الدعوى باطلة فان من شاهد المحسوسات لا يمكنه أن يكابر نفسه في صدقها ويؤمن بمعنى قد قام الحس عنده على عدم صحته فلا يشك عاقل أن من اعتقد وقوع أمر بمشاهدته لا يتحول عن تصديقه ويؤمن بما خالفه من كتاب الله بحسب ظاهره ويعتقد انه من عنده جل وعلا ان لم يقل بأن آيات الكتاب من المتشابه حتى

لا يحيد عن الطريق السوى ويكفر بها فان الحس عنده من أقوي البراهين يورثه اعتقادا جازما أقوي من اعتقاد النقل والخبر ولا شك ان من وقف في طريق من يدعى المشاهدة والعيان وصادره بآيات يحتمل ان تكون من المتشابه يكون أضر على دين الاسلام من كل عدو له لان العدو لا يسلم له ولا يؤخذ بقوله بخلاف من يزعم انه ينتصر للدين وآيات الكتاب كما سيأتي ذلك عن الغزالي * ويا ليت شعرى لم لا يتكلم العالم مع من يدعى أن دعواه صادقة بالمشاهدة على فرض صحة مشاهدته ان لم يصدقها هو فان تلك الدعوى وان احتملت ان تكون صادقة أو كاذبة في ذاتها ولكنها قطعية الصدق عند من شاهدها ولا يتحول عن دعوى صدقها بالانكار عليه والانكار عليه يحتمل ان يكون صوابا وان يكون خطا فان العالم اذا لم يصدق هو بالخبر ربما جاء غيره وصدق الخبر ويكون مصيبا فيلزم على ذلك ان يجمع العالم بين مثل تلك الدعاوى على فرض صحتها وتسليمها وبين آيات الكتاب وان نازعه اعتقاده الخاص به فيها اللهم الا أن لا يجد مندوحة من عدم

تسليمها وان آيات الكتاب لا تقبل التأويل بوجه من الوجوه
وانى يكون ذلك بعد معرفة ان من آيات الكتاب محكما
مدرك المعني ومنها متشابها لا يعلم تأويله الا الله والراسخون
في العلم ولم يكن ثم أحد نعلمه بعينه من الراسخين فى العلم حتى
نحكم بمعرفته مراد الله سبحانه وتعالى من كل آية فنتلقى منه
معناها المراد لله سبحانه وتعالى منها ولو أن الله سبحانه وتعالى
أراد لمن كان من الراسخين فى العلم الذين يعلمون تأويل
القرآن أن يقوموا ببيانه للبشر ما كان ثم داع الى انزال القرآن
متشابها وغير متشابه وما أنزل الله سبحانه وتعالى كتابه منه
آيات محكمات وأخر متشابهات الا ليخفى بعض معاني كلامه
على العامة من الناس ولم يرد ان من تصفح كتاب تفسير يقف
على معاني جميع كلام رب العالمين بينه وخفيه فان دون ذلك
خرط القتاد والله بصير بالعباد * وكما وقع هذا المتشابه فى
كلام الله سبحانه وتعالي وقع في كلام رسول الله صلى الله عليه
وسلم للحكمة التى جعل الله كتابه لاجلها من المتشابه وغير
المتشابه فان النبي عليه الصلاة والسلام لا ينطق عن الهوى

فكل ما قيل في كلام الله تعالى يقال فى كلام رسوله صلى الله عليه وسلم * وعلى هذا قد تبين لك ان الادلة المحسوسة من أقطع البراهين وان كان ظاهر لسان الشارع يخالفها وانه يجب تأويل ما خالف ظاهره الحس والعيان ولا تجوز مخالفة براهين المحسوسات على ان المقام لم يصل فى كلام الاطباء الى مخالفة كتاب الله تعالى ولا الى مخالفة صحاح أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلام الله تعالى يفيد ان خلق الانسان من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة وهذا لا يخالف كلام الاطباء لانهم يقولون ان نطفة الرجل تحتوى على كثير من الحيوانات المنوية وهى علقات ذوات أجسام صغيرة جداً لا تدرك الا بواسطة الاستعانة بالنظارات المعظمة وتوجد تلك الحيوانات فى المنى بعد تكونه حال خروجه كما تقدم فنطفة الرجل أصل لتكوين الجنين لاشتمالها على تلك العلقة وذلك الحيوان هو الذى يلقح البويضة وحينئذ يمكن حمل قوله تعالى ثم من علقة على الدويبة الصغيرة لا على ما يعلق وعليه يكون هذا من أوضح البراهين وأقوى الحجج على ان القرآن معجز

وانه من عند الله سبحانه وتعالى وليس للبشر في صدقه شك
ولا ريب حيث أخبر جل شأنه ان أصل الانسان من دويبة
صغيرة كما هو معنى من معانى العلقة في اللغة وهذا الامر لم
يكن معروفا للبشر وقت نزول القرآن الكريم بل خفي أمره
الى مايقارب الالف وثلاثمائة عام حيث لا يعلم البشر أن أصله
من علقة بمعني الدويبة التى سماها الاطباء بعد معرفتها في هذه
الاعصر الاخيرة بالحيوان المنوى ولولا انكشاف هذا الامر
فى الزمن الاخير لكانت آية الكتاب من المتشابه الذي
لا يعرف معناه عند حمل العلقة على الحيوان المنوي فلو أن الله
سبحانه وتعالى أخبر بان الانسان يخلق من نطفة ثم من
حيوان صغير لكان ذلك من المتشابه لا ندرك البشر حقيقته
حينذاك ولم ينكشف الا بعد مرّ الدهور وكرّ العصور
ولذلك لما عبر الله سبحانه وتعالى بخلق الانسان من نطفة ثم
من علقة ولم يكن معروفا عند الاطباء ولا غيرهم ان العلقة كما
يحتمل ان تكون مايعلق يحتمل ان تكون دويبة صغيرة جزم
المفسرون بانها مايعلق ولم يذكروا احتمال انهـا حيوان صغير

لعدم ادراكهم لذلك وتصديقهم به واذعانهم له حين نزول القرآن الى أكثر من ألف عام وهذا من أدل الادلة على ان كتاب الله لايدرك كنهه الا هو * سبحانك لاعلم لنا الا ماعلمتنا انك أنت العليم الحكيم * ثم قال جل شأنه ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة أقول وتخليق المضغة هو مابينه الاطباء مما ذكرناه فيما تقدم ومعنى مخلقة وغير مخلقة على ما يظهر لى ويتجلى لعقلى القاصر انها مخلقة في الواقع ونفس الامر يدرك تخلقها بالآلات المعظمة وغير مخلقة في رأي العين لمن يحاول أن يراها ولا يكاد يراها ويحتمل ان يكون معنى مخلقة على ما قاله بعض المفسرين ما يتم البارى سبحانه خلق الانسان منها وغير المخلقة ما اسقطتها المرأة ولم يتم البارى سبحانه خلق الانسان منها بدليل قوله جل ذكره ونقر في الارحام مانشاء ولا ينافي هذا كون الكلام فى أصل الانسان الموجود الآن لانه بين انه ليس محتما عليه جل علاه أن يوجد الانسان بمجرد وجود النطفة والعلقة بل ولا المضغة بعد تلقيح البويضة من العلقة التي هى أصل الانسان واستحالتها الى المضغة بل

انه ان شاء أتم نموها وجعلها انسانا وان شاء أعدمها جلت قدرته وقامت حجته وليس فى القرآن شئ يظنه الظان انه يخالف بعد هذا الذي بيناه قول الاطباء ولا غيرهم واما قوله تعالى من مني يمنى فمعناه ماء الرجل غلب على ماء المرأة لانه الاصل المعول عليه والمرجوع اليه * (وأما أحاديث) رسول الله صلى الله عليه وسلم فليس فيها ما يخالف قول الاطباء فالذى ورد في الصحاح قوله صلى الله عليه وسلم ان خلق أحدكم يجمع فى بطن أمه أربعين يوما نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله اليه ملكا باربع كلمات فيكتب عمله وأجله ورزقه وشقى أو سعيد ثم ينفخ فيه الروح فوالذى لااله غيره ان أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها وان أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها اه فهذا الحديث لم يكن بينه وبين قول الاطباء تناف ولا خلاف لان قوله يجمع فى

بطن أمه أربعين يوما نطفة أي له حكم النطفة لم يكن له اتصال
بامه لما قد علمته ان الاتصال على قول الاطباء يحصل فى الاسبوع
الخامس وهو في نحو الاربعين يوما فالبويضة بعد تلقيحها
وان بقيت فى الرحم تنمو شيأ فشيأ غير أن الاتصال لا يكون
الا فى نحو الاربعين يوما ثم تعلق بالام ثم يكون لها حكم
المضغة أربعين يوما فليس لها حكم الانسان الا بعد ذلك وهو
بعد نفخ الروح فى الجنين فان المضغة اذا سقطت لم يكن لها
حكم الانسان في وجوب الصلاة عليه وغير ذلك مما هو
منصوص فى كتب الفقه الا عند تمام الشهر الرابع حيث
تنفخ فى الجنين الروح ولا يكون ذلك الا بتمام الاربعين
الثالثة ومع ذلك فحديث النبي صلى الله عليه وسلم انما هو
للتقريب من افهام البشر بدليل قوله فى آخر الحديث حتى
ما يكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب الخ مما
هو مسلم انه كناية عن القرب ولم يكن المراد أن الواحد يسير
في طريق سير اقدام حتى يقرب قرب مكان لاستحالة ذلك
فالحديث كناية من رسول الله صلى الله عليه وسلم جرت على

طريق بيان المعقول بالمحسوس وتصويره به وتقريبه لهم على
قدر عقولهم على أن عبارته لا تنافي قول الاطباء كما تقدم
وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم لام سليم رضي الله عنها وقد
سألته هل على المرأة من غسل اذا هي احتلمت نعم اذا رأت
الماء الحديث لا يخالف قول الاطباء وذلك انه تقدم فيما بسطناه من
كلام الاطباء ان انواع مياه المرأة ثلاثة أحدهاما يسيل في المهبل
كاللعاب والثاني مايخرج من فم الرحم ويسيل حتى يخرج من فرج
المرأة فالمرأة اذا احتلمت ترى خارج فرجها شيأ من الماءين
أو أحدهما وهذا هو الذي يوجب الغسل على المرأة بقطع
النظر عن كون الجنين يتكون منهما أو من أحدهما فان نزول
ذلك الماء فيه كسر شهوة المرأة واضعافها والغسل انما يجب
فيما كسر شهوة الانسان وكما ان خروج المنى من الرجل أوجب
عليه الغسل كذلك خروج ماء المرأة أوجب عليها الغسل من
جهة قضاء شهوة كل لا من جهة أن يتكون منهما أو من أحدهما
الجنين فان الرجل يجب عليه الغسل بخروج الماء ولو لم يصل الى
فرج امرأة ولم يحصل منه جنين ومع ذلك فالشارع أوجب عليه

الغسل ومنه يعلم أن مناط الحكم قضاء الشهوة وهذا قدر مشترك في المرأة والرجل بقطع النظر عن كون الجنين يتكون منهما أو من أحدهما وأم سليم السائلة رضى الله عنها كأنها أنكرت أن يكون للمرأة جنس ماء فقال عليه السلام فبما يشبه الولد وقول السائل فى قوة سالبة كلية وجوابه صلى الله عليه وسلم فى قوة موجبة جزئية يريد والله أعلم اثبات جنس الماء للمرأة وهذا هو الماء الثالث الذى للمرأة فانه قد تقدم أن البويضة محاطة في حويصلة جراف بسائل وأنه بانفجارها يوصلها ذلك الماء الى البوق فماء المرأة الذى هو في حويصلة جراف يحمل البويضة ويوصلها الى محل تلقيحها كما أن ماء الرجل يحمل الحيوانات المنوية ويوصلها الى حيث يمكنها أن تلقح بويضة المرأة فكما ان الشارع نسب الولد الى ماء الرجل باعتبار انه حامل للحيوانات المنوية كذلك جعل ماء المرأة أصلا للجنين باعتبار أنه حامل للبويضة وموصل لها ولم يكن للبشر حين نزول الكتاب وقول النبي صلى الله عليه وسلم للسائلة رضى الله عنها نعم اذا رأت الماء الحديث أن يدركوا الا أن الجنين يتكون من

الماءين لعدم امكان ادراكهم في ذلك الحين الحيوانات المنوية وبويضات النساء حيث لم يكن العلم بذلك حاصلا عندهم لعدم وجود الآلات التي حدثت والماء على كل حال هو أصل باعتبار ما حمل فصح نسبة الجنين اليه وعدم بيان النبي صلى الله عليه وسلم لانه مما يدق معرفته ويخفي على المخاطبين كالنساء وضعفة الاعراب فربما يورث الشك في قلوبهم فتركه لحكمة وتأخير البيان جائز على ما بين في الاصول وقد أمر صلى الله عليه وسلم أن يخاطب الناس على قدر عقولهم فقال صلى الله عليه وسلم أمرنا أن نكلم الناس على قدر عقولهم وفي صحيح البخارى عن علي رضى الله عنه أنه قال حدثوا الناس بما يعرفون أتحبون أن يكذب الله ورسوله وفي صحيح مسلم عن ابن مسعود ما أنت بمحدث قوما حديثا لا تبلغه عقولهم الا كان لبعضهم فتنة اهـ فان جاء شيء ظاهره غير موافق للحس والعيان وجب تأويله والناس في ذلك الوقت وأطباؤهم اختلفوا في المادة التي يتكون منها الجنين وذهبوا فيها الى مذاهب شتى. فمنها ما ذهب اليه (موبير تويس) من أن بذرة النوعين مكونة من أجزاء

صغيرة تمتزج فى الرحم امتزاج العناصر الكيماوية وتتجاذب وتتحد . ومنها مازعمه (بوفون) من أن فى وقت الشهوة ينفصل من جميع أجزاء كل من الرجل والمرأة في زمان واحد عدد معين من أجزاء آلية تتشكل بشكل الاعضاء الخارجة منها وهي متوافقة فى الرجل والمرأة وبوصولها الى الرحم تتجاذب الاجزاء المتشابهة بحيث أن الاجزاء الآتية من الرجل مثلا لاتنضم الا بنظائرها من أجزاء المرأة . ومنها مازعمه (فيثاغورس) وتبعه عليه تلامذته من ان النطفة تتولد من دم الطمث المساعد برطوبة تنزل من المخ مدة الجماع ومنها ما ذهب اليه (ابقراط) و (امبيدكلوس) من انه توجد في مبيض النساء أعضاء وظيفتها افراز سائل تناسلي يشبه السائل المنوى الذى للرجال ومن اختلاط هذين السائلين بعضهما ببعض عند الجماع يتكون الجنين وهذا المذهب هو الذى اشتهر واعتقدته العامة وان اختلفوا في معناه فقيل معناه ان مني المرأة محتاج فى حياته الى مني الرجل حتى يكتسب شكل الجنين وقيل معناه انه يحصل من امتزاج أحد المنيين بالآخر تكون

الجنين . ومنها مازعمه (ارسطاطاليس) من ان الرحم كقالب التماثيل الرخامية فالمرأة تجهز الرخامة والرجل كالنحات والصورة الحاصلة هي الجنين . ومنها ما ذهب اليه (جالينوس) من ان الجنين حاصل من منى الرجل. واما المادة الآتية من المرأة فانما هى غذاؤه . وكل هذه مذاهب وآراء قديمة مهجورة لما ظهر واستكشف فى هذه الاعصر الاخيرة مما ادعى فيه أهل الفن ثبوته بالحس والعيان * (فاذا جاء) حديث ظاهره موافق لما كان سائدا ومعتقدا عند العامة كان خطابا على قدر عقولهم كما جاء الكتاب بأن الشمس تغرب فى عين حمئة أى بحسب ما يراه الرائي وينظره الناظر لا بحسب الواقع ونفس الامر فان الشمس لم تزل فى فلكها الرابع ولا تغرب في الارض البتة لما ثبت واتفق عليه أكابر علماء التفسير وأصبح مشاهدا لا يقبل جدلا فقال أكابر المفسرين ان غروبها فى العين الحمئة انما هو بحسب ما يبدو للناظر وكذلك هنا يقال ان من المذاهب ما يثبت ان للمرأة ماء كماء الرجل وهو الذى يبدو للرجل حيث يجد ان المهبل تندى بماء مخاطي ولم تتبين

حقيقته بالجزم الا فى هذه الاعصر الاخيرة فكل الناس كانوا
يعتقدون ان للمرأة ماء كماء الرجل غير مميزين مبدأ كل من
الماءين ماهو ولا حقيقته ماهى كما انهم ما كانوا يعلمون فى
الازمنة السابقة ان المرأة تفرز بويضات وان ماء الرجل فيه
حيوانات تلقح تلك البويضات وما علم الناس هذا في الزمن
الاخير الا بواسطة الآلات المعظمة (الميكرسكوب) فانهم
اكتشفوا بهذه الآلات دقائق ما كانت تبدو للرائي مهما
استعان على رؤيتها واما بواسطة هذه الآلات التى تجعل
المرئي فى نظر الرائي بقدر حجمه الحقيقي آلافا من المرات
حتي ان انواع المياه يبصرون فيها حيوانات دقيقة بواسطة
تلك الآلات وهى لاتبدو لناظر أبدا من غير تلك الآلات
(فان قلت) فحينئذ ما معني قوله صلى الله عليه وسلم فبما يشبه
الولد (قلت) معناه أنه اذا سبق ماء المرأة أشبه الولد أمه
بسبب كسر شهوتها وعدم ثورانها فيها والاطباء لم يهتدوا الى
الآن الى سبب شبه الولد تارة لامه وأخرى لابيه فلم تكن
هنا معارضة بين الحديث وغيره حيث لم يذكر شئ آخر

خلاف ما ذكر في الحديث والحديث لم يكن فيه ان الولد
يأتى من ماء المرأة ان سُبق أو سَبق ولئن كان فيه شئ من
ذلك فيمكن حمله على الماء الموجود فى حويصلة جراف ومعني
السبق حينئذ ان حويصلة جراف انفجرت وسبقت البويضة
بدخولها البوق قبل نزول ماء الرجل ولم يحصل التلقيح على
سطح المبيض كما يمكن أن يحصل ذلك * (واما ماروي)
عن ابن مسعود في تفسير حديث ان خلق أحدكم يجمع في
بطن أمه أربعين يوما نطفة من قوله ان النطفة اذا وقعت
في الرحم فاراد الله ان يخلق منها بشرا طارت فى بشرة المرأة
تحت كل ظفر وشعر ثم تمكث أربعين ليلة ثم تنزل دما في
الرحم فذلك جمعها اه وقول المحدثين ان الصحابة أعلم الناس
بتفسير ما سمعوه وأحقهم بتأويله وا كثرهم احتياطاً فليس لمن
بعدهم ان يرد عليهم فكل منهما مردود لانه قد أثبت الحافظ
ابن حجر انه عليه الصلاة والسلام قال ان الله تعالى اذا أراد
خلق عبد فجامع الرجل المرأة طار ماؤه فى كل عرق وعضو
منها فاذا كان يوم السابع جمعه الله ثم أحضره كل عرق له

دون آدم فى أى صورة ماشاء ركبك اهـ فانا ان قلنا بلزوم
العمل بتفسير الصحابة وعدم الخروج عنه الى معنى آخر نفاه
الحديث الاخير من ان زمن مكث النطفة سبعة أيام
لاأربعون يوماً والظاهر ان صح مثل ذلك التفسير أو هذا
الحديث فالمراد منه والله أعلم ان الولد يأتي مشابها لأمه من
كل وجه فيأتي شعره كشعرها وظفره كظفرها الى غير
ذلك فكأن الماء كان مجتمعا تحت كل عضو حتى أخذ شبها
منه فتحديد الاربعين يوما أو السبعة الايام كناية عن تمام
المشابهة بينهما كأن الماء مكث زمنا طويلا تحت كل عضو
فأخذ شبهه تاماً والا فالحس والعيان وما تشعر به كل امرأة
وتجده من نفسها ان الماء لايدخل في أصابعها ولاتحت ظفرها
وشعرها فمثل تلك الآثار أو الاحاديث يجب حملها على
الكناية الجارية على طريق بيان المعقول بالمحسوس وتصويره
به تقريبا لهم وتسهيلا عليهم لا على الحقيقة والله يقول الحق
وهو يهدى السبيل وهو حسبي ونعم الوكيل * بقى ان الفقهاء
اختلفوا فى اكثر مدة الحمل فذهب الشافعى الى انه أربع

فقف على اختلافهم فى أكثر مدة الحمل

سنين وذهب غيره الى دون ذلك وكلام الاطباء يشير الى
ان الحمل يكون اكثره تسعة أشهر ولكن دليل الفقهاء
الاستقراء والمشاهدة بالحوادث الواقعة فاذا لم يشاهد الطبيب
تلك المشاهدات التى شاهدها الفقهاء لا يكون قوله مبطلا
لما قرره علماء الفقه لان معرفة اكثر مدة الحمل الخارقة للعادة
لم يكن مرجعها الى القواعد الطبية وانما ترجع الى المشاهدة
واذ قد قرر الاطباء ان بعض النساء لا يحضن أصلا على غير
عادة النساء وبعض النساء يلدن لسبعين سنة وهو لم يكن
موافقا للعادة الغالبة التى كادت أن تكون مطردة فكذلك
يقال ان مكث الحمل اكثر من تسعة أشهر الي أربع سنين
خارج عن العادة الغالبة في النساء فحيث صح ماقرروه بدليل
المشاهدة لزم أن يصح ما قرره الفقهاء بدليل مشاهدتهم
لذلك أيضاً بلا فرق حيث كان المرجع المشاهدة ولا يمكننا ان
نسلم ما ادعاه بعض الاطباء من ان ذلك واقع من اشتباه
النساء فى الحمل لان بعض النساء يعتريه مرض عصبي من
أمراض الاستريا تحس فيه المرأة بما تحس به الحامل من

تحرك الجنين وكبر البطن وربما وجد اللبن فى الثدى وهو المسمى عندهم بالحمل الكاذب لكن لو فرضنا أن واحدة جامعها زوجها وظهرت عليها اعراض الحمل ولم يمسها بعد ذلك بشر واستمر الحمل أربع سنين أو دون ذلك فلا يمكننا حينئذ ان نسلم ان ذلك من الحمل الكاذب بل ان وقع ذلك يكون من الشذوذ الخارج عن العادة كما وقع فى الطب شواذ غير عادية فالامر موقوف على تحقق ذلك وقد قال الفقهاء بانه وقع وتحققوه فيؤخذ قولهم حجة وحمله على الاشتباه منهم لادليل عليه فلا يعتد به متى جاز فى نفسه وقد علمنا من أصول الطب ان الخروج عن العادة يقع فى كثير من الاشياء فكذلك يقال فى اكثر مدة الحمل عند الفقهاء . وأما قول الفقهاء ان دم النفاس هو دم حيض مجتمع فبعد العناء الشديد والبحث الدقيق لم أجد في ذلك نقلا من حديث أو أثر أو غير ذلك والاطباء لم يقولوا به ولم يسلموه ومنشؤه عندهم ان مشيمة الطفل عند خروجها تنفصل متمزقة من مشيمة الام فيحصل الجرح بسبب ذلك الانفصال فيخرج

ردا على قولهم ان دم النفاس هو دم حيض مجتمع

الدم وهو يختلف باختلاف حجم الجروح واختلاف بنية النساء فمن النساء من اذا جرحت جرحا صغيراً سال منه دم كثير ومنهن من اذا جرحت جرحاً كبيراً لم يخرج منها الا دم قليل وكذا الحال في الرجال ويختلف زمن التئام الجرح باختلاف الاشخاص سواء كانوا نساء أم رجالا ولا يمكن عادة ان يمكث الجرح غير ملتئم اكثر من أربعين يوماً ولذلك كان غالب النفاس أربعين يوماً وكأن الفقهاء قالوا ما قالوه لان الشارع أمر بالغسل من النفاس فظنوه دم حيض لان المعهود فى الشرع التطهر منه ولكن ليس ذلك بدليل لان الشارع كما أوجب الطهر من دم الحيض الذى جعله طبيعة في نساء البشر أمر بالطهر من دم الجرح الذى سببه النفاس والله لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون * ومما ذكر تبين ان قواعد الطب لا تخالف أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وان ما ورد منها مما يثبت أن للمرأة ماء هو موافق لقواعد الطب لما تقدم من انه فى حال الجماع يحصل فى المرأة انقباض في جميع عضلات العجان يصحبه خروج سائل صاف لزج من عنق الرحم يمكن أن

يعطى اسم الدافق في المرأة ويسمى به وهو آت من انقباض
الرحم وينتشر فى المهبل وقد يكون صواغاً للحيوانات المنوية
يوصلها الى مدخل عنق الرحم وهذا هو الماء الذى يمكن نزوله
من المرأة اذا احتلمت نعم ان هذا الماء وان كان صواغاً لوصول
حيوانات الرجل المنوية الى مدخل عنق الرحم ولكنه لا يتولد
منه الجنين ولا يتوقف وصول الحيوانات عليه وظاهر الاحاديث
يفهم منه أن ماء المرأة يتكون منه الجنين وقد تقدم أيضا
أن حويصلة جراف التى فيها بويضات المرأة التي يتكون
منها الجنين ممتلئة ماء يسيل بانفجار حويصلة جراف ويوصل
البويضة الى داخل البوق الذى يحصل فيه التلقيح غالباً فماء
حويصلات جراف الحامل للبويضة كماء الرجل الحامل
للحيوانات المنوية وقد نسب الولد الى الماءين باعتبار انهما
حاملان لاصل الجنين من الذكر والانثى وقد تقدم أيضا
أن تلقيح البويضة قد يكون على سطح مبيض المرأة وقد
يكون داخل البوق ومنه يعلم صحة حديث ان ماء الرجل قد
يسبق ماء المرأة أو أن ماء المرأة قد يسبق ماء الرجل فان البويضة

اذا لقحت على سطح المبيض قبل وصولها الى البوق يكون ماء الرجل أسبق اليها مما اذا دخلت البويضة البوق ومتي تبين لك ذلك تعلم أن لاخلاف بين نصوص الشرع وقواعد الطب التى ترجع الى الحس والعيان على معتقدهم * ومما يؤيد أن الولد لايكون من الماء الذى ينزل من المرأة عند الجماع قول الفقهاء اذا وضع ماء الرجل فى فرج المرأة وجاءت بولد ينسب الى صاحب الماء مع أن المرأة لم تجد لذة ولم ينزل منها ماء وكون المرأة لاتحمل الا بعد نزول حيضها فاذا بلغت بالاحتلام ولم ينزل حيضها لايمكن أن تحمل ولو نزل منها ماء ومتى انقطع حيضها ببلوغها سن اليأس لاتحمل مع وجود لذة الجماع ونزول الماء منها* أما خروج المني من بين الصلب والترائب فقد قدمنا أن الاطباء قالوا ان الماء الدافق خارج أصله من دم يخرج من القلب فيمر في الشريانين المنويين الآتيين من الشريان الأورطى البطني أسفل منشا الشرايين الكلوية أو من الشرايين الكلوية وهو نادر وهذه الشرايين بعد منشئها تمر نازلة نزولا عموديا الى أسفل خلف البريتون أمام العضلة

قف على معنى قوله يخرج من بين الصلب والترائب

الابوسواسية والحالب فيكون مروره بين الصلب والترائب ويؤيد هذا قول الله تعالى (فلينظر الانسان ممّ خلق خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب) دل ظاهر القرآن الكريم على أن الماء الدافق يخرج من بين الصلب والترائب وكلام الاطباء يشهد بأن أصل مني الرجل يخرج من بين صلبه وترائبه كما يشهد به البينية في نظم القرآن المؤيدة بالحس والمشاهدة والعيان بخلاف ماتكلفه بعض المفسرين من قوله أى صلب الرجل وترائب المرأة المقتضى أن البينية ليست على معناها الظاهر منها اذ الماء الدافق لايخرج من بين صلب الرجل وترائب المرأة وانما يخرج كما تقدم من بين صلب الرجل وترائبه وحمله على مائي الرجل والمرأة بعيد جداً اذ كلام الله جل شأنه فى الماء الدافق المتكوّن منه الجنين ونسبة الولد الى الرجل على سبيل التغليب * هذا ما اقتضاه النظم الكريم واهتدى اليه العقل السليم وقال به الطبيب والحكيم والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم * ومن قال ان ضمير يخرج في قوله علت كلمته يخرج من بين الصلب

والترائب للولد فقد أبعد من غير مستند والله يقول الحق وهو يهدى السبيل وهو حسبنا ونعم الوكيل * فكل من فهم أن هناك تبايناً بين نصوص الشرع وقواعد الطب ورمي الاطباء بالافتراء والبهتان أو رمى علماء الدين بالجهل فقد ركب متن عمياء وخبط خبط عشواء وسلك طريق البهتان نعوذ بالله من الخذلان ونزغات الشيطان فان نصوص الشرع لاتخالف مدركات الحس وما كان ظاهره مخالفا لها وجب تأويله ورده اليها * قال الامام الغزالي في كتابه تهافت الفلاسفة القسم الثاني مالا يصدم مذهبهم فيه أصلا من أصول الدين وليس من ضرورة تصديق الانبياء والرسل صلوات الله عليهم منازعتهم فيه كقولهم ان كسوف القمر عبارة عن انمحاء ضوء القمر بتوسط الارض بينه وبين الشمس من حيث انه يقتبس نوره من الشمس والارض كرة والسماء محيطة بها من الجوانب فاذا وقع القمر في ظل الارض انقطع عنه نور الشمس وكقولهم ان كسوف الشمس معناه وقوف جرم القمر بين الناظر وبين الشمس وذلك عند اجتماعهما في العقدتين على

نقل على كلام الغزالي

دقيقة واحـدة وهـذا الفن أيضاً لسنا نخوض فى ابطاله اذ
لا يتعلق به غرض ومن ظن ان المناظرة فى ابطال هذا من
الدين فقد جنى على الدين وضعّف أمره فان هـذه الامور
تقوم عليها براهين هندسية وحسابية لا تبقى معها ريبـة فمن
يطلع عليهـا ويتحقق أدلتهـا حـتى يخـبر بسببها عن وقت
الـكسوفين وقدرهما ومـدة بقائهما الى الانجلاء اذا قيل
له ان هـذا على خلاف الشرع لم يسترب فيه وانما يستريب
في الشرع وضرر الشرع ممن ينصره لا بطريقـه اكثر
من ضرره ممن يطعن فيه بطريقه وهو كما قيـل عدو عاقل
خير من صديق جاهـل (فان قيل) فقد قال رسول الله صلى
الله عليه وسـلم ان الشمس والقمر لآيتـان من آيات الله
لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته فاذا رأيتم ذلك فافزعوا الى ذكر
الله تعالى والصلاة فكيف يلائم هـذا ماقالوه (قلنا) وليس
فى هذا ما يناقض ما قالوه اذ ليس فيه الا نفى وقوع الـكسوف
لموت أحد أو لحياته والامر بالصلاة عنـده والشرع الذى
يأمر بالصلاة عند الزوال والغروب من أين يبعد منه أن

أمر عند الكسوف بها استحبابا (فان قيل) فقد روي انه
قال في آخر الحديث ولكن الله اذا تجلى لشئ خضع له فيدل
على أن الكسوف خضوع بسبب التجلى (قلنا) هذه الزيادة
لم يصح نقلها فيجب تكذيب ناقلها وانما المروي ما ذكرناه
كيف ولو كان صحيحا لكان تأويله أهون من مكابرة أمور
قطعية فكم من ظواهر أوّلت بالادلة القطعية التى لا تنتهى
في الوضوح الى هذا الحد وأعظم ما يقدح به الملحدة ان
يصرح ناصر الشرع بان هذا وأمثاله على خلاف الشرع فيسهل
عليه طريق ابطال الشرع ان كان شرطه أمثال ذلك وهذا
لان البحث في العالم عن كونه حادثا أو قديما ثم اذا ثبت
حدوثه فسواء كان كرة أو بسيطا أو مثمنا أو مسدساً وسواء
كانت السموات وما تحتها ثلاث عشرة طبقة كما قالوه أو أقل
أو أكثر فنسبة النظر فيه الى البحث الالهي كنسبة النظر
الى طبقات البصل وعددها وعدد حب الرمان فالمقصود
كونها من فعل الله فقط كيفما كانت والله أعلم بالصواب انتهى
(وقد زعم) بعضهم انه قد ورد في بعض الروايات في كسوف

الشمس وفي خسوف القمر فاذا انكسفا فافزعوا الى ذكر
الله تعالى وطن انه لو كان الكسوف أمراً عاديا لا يتقدم
ولا يتأخر لم يقع فزع ولم يأمر عليه الصلاة والسلام بالعتق
والصلاة كما في خبر البخاري من قوله صلى الله عليه وسلم فاذا
رأيتم ذلك فافزعوا وكبروا وصلوا وتصدقوا ومقتضاه ان
ذلك مما يدفع به ما يخشى من أثر الكسوف الموجب للفزع
وغير ذلك من الروايات التي زعمها ترد ما ذهب اليه الغزالي
وقد رد على ذلك ابن دقيق العيد بان لا تنافي بين الحديث
وبين ماقاله أهل الهيئة فان لله أفعالا على حسب العادة واقعة
لا خارجة عنها وقدرته حاكمة على كل سبب فيقع ما يشاء من
الاسباب والمسببات بعضها عن بعض وحينئذ فالعلماء بالله
لقوة اعتقادهم في عموم قدرته على خرق العادة وانه يفعل
ما يشاء واذا وقع شيء غريب حدث عندهم الخوف لقوة
ذلك الاعتقاد وذلك لا يمنع ان ثمة اسبابا تجرى عليها بالعادة
الى ان يشاء الله خرقها اه ومقتضى كلام ابن دقيق العيد
ان كلام علماء الهيئة ان كان حقا في الواقع لا ينافي كون ذلك

تخويفا يطلب فيه الفزع وفعل الطاعات وهذا هو بعينه رجوع النص وتأويله الى مالا يخالف الحس والعيان لما قد علمته من انه من أقطع البراهين والله أعلم * فلا تظن أيها المتنطع فى الدين ان تأويل كتاب الله وسنة رسوله الى مالا يخالف الحس والعيان نقض حكم من أحكام الدين ولا هدم قاعدة من قواعده فالدين والعقل والحس لا يخالف بعضها بعضاً

وحيث قلت بوجوب تأويل كتاب الله وسنة رسوله عند مخالفة العقل وجب ان تقول بالتأويل عند مخالفة الحس

وليس هذا مروقا من الدين وانما هو توثيق لمراه وأدلتـه وتوطيد لقواعده وتأييد لنصوصه والزام

لمن يظن ان الدين يخالف اليقين فيهوى

باعتقاده الى الزيغ والكفر والضلال

والله يقول الحق وهو يهدى

السبيل وهو حسبي

ونعم الوكيل

انتهى كلام مرشد الانام لبر أم الامام . نسأله جل علاه أن يعيننى على اتمامه . والصلاة والسلام على كاشف الغمة نبي الرحمة سيدنا ومولانا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم كلما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون والحمد لله رب العالمين . وكان الفراغ من نقله فى صبح يوم الاثنين الرابع من شهر صفر الخير سنة ١٣٢٨

وكتب مقرظا هذا الكتاب العلامة الفاضل واللوذعى الاديب الكامل الشيخ عبد الرحمن قراعه قاضي محكمة المنصورة الشرعية لمديرية الدقهلية فقال حفظه الله

هذا بيان كافل للناس ... بازالة الاغماض والالباس
صاغت قلائده خواطر أحمد ... فاعجب لدرصيغ في قرطاس
محص الادلة محص مضطلع بها ... فأتى بخير نتيجة وقياس
وتأول المنقول حتي عادكا ... لمحسوس بعد شكاسة وشماس
والنقل مالم يعتضد بالعقل لم ... يخرج عن الايحاش للايناس
فهما مناط الحكم من يلحظهما ... يضع البناء على أصح أساس
لله أنت أبا الحسين أعدت من ... بعد الاياس لنا ذكاء اياس

وأثرت صيداً لم يكن ليرينه ‏ ‏ ‏ ‏ ويناله رام عن الافواس

حتي استجاب الى رقاك ولم يمد ‏ ‏ ‏ ‏ منها بآجام ولا بكناس

والعلم في بيت النبوة شامخ الـبنيان زاكى الاصل و الاغراس

من كالحسين ومن كوالده ومن ‏ ‏ ‏ ‏ كأبيه أو كالفضل والعباس

واذا جريت لغاية سبقوا لها

أحرزت خصل السبق دون الناس

عبد الرحمن

قراعه

ولما اطلع على هذا الكتاب حضرة العلامة الفاضل والفقيه الكامل الشيخ محمد موسى البجيرمى شيخ العلماء الشافعية في الجامع الازهر كتب مانصه

بسم الله الرحمن الرحيم ‏ ‏ ‏ ‏ الحمد لله وحده

إن من أجل ماعمله الانسان* واستجلب به مزيد الاحسان حمد الله تعالى على تقويمه أحسن تقويم* وتعليمه بعد الجهل أعظم تعليم* بعد خلقه من خفي ما استودع فى الاصلاب واستقر فى الأرحام* ونقله من طور الى طور حتى أتم تصويره واحكمه غاية

الاحكام* ونفخ فيه الروح ورباه وحفظه من الآفات في الظلمات المتراكمة بقدرته الباهره* ثم أخرجه من العالم الباطن الى العالم الظاهر وأسبغ عليه نعمه الباطنة والظاهره* فسبحانه من اله لايمكن احدا ادراك حقيقة ابداعه* ولا الاطلاع على ماأودعه في خلقه من الاسرار ولا الكشف عن كنه ايداعه* والصلاة والسلام على أفضل من اصطفاه الله تعالى من سلالة آدم* وخصه بان جمع فيه من مزايا الفضل والشرف ما لم يجمع في واحد من العالم* وانزل عليه القرآن الذي عجز عن معارضته الاواخر والاوائل* سيدنا ومولانا وواسطتنا فيما وصل الينا من الفواضل والفضائل* رسول الله الى الناس كافة الاسود والاحمر* محمد الذي خصه بعلم ماأخفاه عن غيره ففاز منه بالحظ الاوفر* وعلى آله الطاهرين الطيبين* وأصحابه الذين أشرقت عليهم أنواره فتحققوا من الايمان بحق اليقين* (أما بعد) فقد اطلعت على الرسالة الموسومة بالبيان في أصل تكوين الانسان للعلامة الاديب* الفهامة الاريب* الباحث عن خفيات التصورات* الكاشف عن خبيئات التصديقات* ذي التحقيق في

مشكل العلوم * والتدقيق فى متشابه الفهوم * الحسيب ذى
النسب الصفىّ * والاخلاق الحسنة والذكاء القوىّ * السيد
أحمد بك الحسينى ابن السيد احمد ابن السيد يوسف الحسينى
حفظه الله تعالى من العاهات والشيطان الغوىّ * فرأيتها
مكونة أتقن تكوين * متمكنة فى تحقيق تكوين الانسان
أعظم تمكين * كاشفة عما منه وجوده * مبينة الاوقات التى فيها
انتقاله فى الاطوار وهو فى الرحم * كيف فيها صعوده * مستدلا فيها
بالحس والعيان * حتى لا يشك في ادراك أصل وجوده انسان *
أتي مصنفها فيها بلباب قول الاطباء المحققين * المستندين الى
المشاهدة وعين اليقين * وجمع بينه وبين ماجاء فى السنة والقرآن
وبيّن التوافق بينهما بيانا كافيا كالمشاهد بالاعيان * فجاءت بحمد
الله كافلة كافيه * ومن جهل الانسان باصل وجوده شافيه * لم يسبق
مصنفها من نسج على منواله * فنسأل الله تعالى ان يكثر من امثاله *
انه سميع قريب * ولدعاء عباده مجيب * وصلى الله على سيدنا محمد
وآله وصحبه وسلم كتبه الفقير الى الله تعالى الغني
محمد موسي البجيرمي الشافعي

وكتب أيضا يقرظ هذا الكتاب العلامة الفاضل والاستاذ الكامل الشيخ السعيد بن على الموجي أحد أكابر علماء السادة الشافعية بالجامع الازهر مانصه

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين . الرحمن الرحيم . مالك يوم الدين الذى أنزل على عبده الامين . فى كتابه المبين . ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين . ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة . فخلقنا العلقة مضغة . فخلقنا المضغة عظاما . فكسونا العظام لحما . ثم أنشأناه خلقا آخر . فتبارك الله أحسن الخالقين . وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له الها كون الاشياء على وفاق ماعلم وشاء . وربا أوسعها بدائع حكمته ايساعا أى ايساع . وأودعها روائع رحمته ايداعاً أى ايداع . وأبدعها وخاصة الانسان منها ابداعاً أى ابداع . خلق الانسان من نطفة لطيفه . فاذا هو بعدُ له فى الارض خليفه ولولا ماأودعه فيها من المزايا الشريفه . ماجعله في الارض أماما وخليفه . واذ غاب عن الملائكة معني تلك اللطيفه

قالوا اتجعل فيها من يفسدفيها خليفه . وهم هم عباد مكرومون لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون . والصلاة والسلام على صفوة العالم . وسر ولد آدم . الفاتح الخاتم أبي القاسم . سيدنا ومولانا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم . الباسقة فى الاصول الكريمة اعراقه . المتألقة المتألفة بأنوار الهداية والارشاد أخلاقه . الداعي الى الحق الابيض الابلج . الهادي الى الطريق السوي الابهج . الماحى بنور هديه ظلمة الباطل الاسود اللجلج . وعلى آله الطيبين الطاهرين . وصحبه الاكرمين الغر الميامين . وبعد فقد وقفت على الكتاب الموسوم بالبيان . في أصل تكوين الانسان . للامام العلامة الهمام الفهامة . نخبة السادة الاشراف . وصفوة القادة من بنى هاشم بن عبدمناف . الشريف الحسيني . صاحب السعادة البيك السيد احمد ابن السيد احمد الحسيني . رفع الله قدره وشرح بنور المعرفة صدره . واطلع فى سماء الفضل شمسه وبدره . فتصفحته كلمة كلمة بل حرفا حرفا . وعرضت جيش سطوره في طروسه صفا صفا . فاذا هو كاسمه بيان للناس

وهدي ورحمة للمؤمنين . وبرهان مبين . شايعه اليقين . واستندت مقدماته الى الحس والمشاهدة والعيان . واعتمدت قضاياه على عمد الصدق فكانت على أمتن اس وأشمخ بنيان . مبين كيف يتكون الانسان أحسن بيان بأعدل برهان . موفق بين مقالتي الأئمة المجتهدين . والحكماء المتطببين الفوسلوجويين فى كيفية التناسل وتكوين الجنين . مفتتحا ببيان نمو البويضة مختتما بنمو المولود . متدرجا فى أدواره . متنقلا فى أطواره . متمتعا في أوطانه بأوطاره . موقف على حقائق ذلك توقيفا لطيفا . وموفق بينها توفيقا شريفا . يذعن به اللبيب البصير . ولا يرغب عنه الاريب الخبير . وذلك الكتاب فلذة من شرح الام مرشد الانام . لبر أم الامام . الذي ماطلع نهاره . حتى تألقت من روضه انواره . وتنسمت منه أزهاره . وتدفقت جداوله وجرت انهاره . ولينظر الانسان هذا الكتاب كتاب البيان مم كان فانه أعدل برهان . على أن المرشد جدير بما وصفته من نباهة الشان . وعلو المكان . فان الثمرة تدل على الشجرة . وكم فيه من علم مخزون . وسر مكنون . فكم من كتاب فيه سردته

وباب قرأته . وفصل تأملته . وما شهدنا الا بما علمنا . فاذا
هو كتاب جموع حافل . ومجموع شامل . أورد فيه من أمهات
المذهب وأصوله من كتب المتقدمين من أصحاب الشافعي
رضى الله عنهم وممن قرب منهم من اصحاب الوجوه وغيرهم
ماتقرّ به العين ويطمئن له القلب ويعشقه السمع . لا يمتد نظره
الى كتب المتأخرين . ولا يعتمد على أسفار المحشين . وبالجملة
فلم يصنف فيما علمت كتاب مثله جمع فأوعى غير مكترث
بايراد وجوه الاعراب مما تكفل به غير كتاب ولا خالطَ
علمٍ بعلم وقد بلغ ما كتبه خمسة عشر مجلدا ضخاما وعليه لو قدر
تمامه لتجاوز مائة مجلد نسأل الله أن يعينه على اكماله . فلله
كتاب أودعه مبدعه العجب العجاب ولب اللباب ان في
ذلك لذكرى لاولى الالباب . ومن عجائبه أن الماء الدافق
يخرج من بين صلب الانسان وترائبه . وانه ان شاء الله لهو
الحق المبين . والصراط المستبين . المؤيد ببرهان الحس والعيان
وانه من أقوى البراهين . خلاف ماتكلفه بعض المفسرين
من انه يخرج من بين صلب الرجل وترائب المرأة مما لا يكاد

مع كلمة من بين يبين . ولله رافع علمه من المعي . وواضع كله من لوذعي

أبي الله الا أن يكون لك الفضل
ويخلص من حر الكلام لك الفصل

وتستخرج الدر الثمين مهذبا
وتستنبط الفرع الصحيح له أصل

توفق بين الفقه والطب في الذى
تعارض فيه بيننا الطب والنقل

فلله ماأسدي لنا من كريمة
يؤيدها نقل وينصرها العقل

أأحمد هذا الفضل فيك وراثة
تقبله فرع يورثه الاصل

فليس سوى تلك الوراثة فاتح
لاغلاق ماأعي الذكي له قفل

وحسبك من بيت النبوة سيد
أناف على أهل الفضائل من قبل

خليلي ماهذا التواكل بيننا
ألم يأن أن نقفو سبيل الاولى جلوا

خليليّ ان الحق ماقال احمد
مؤيده عقل وعاضده نقل

ولولم يكن الا العيان معاضدا لفاز برجحان وتم له الفضل
هديت الى شرح لأم محمد حفى وفيّ ما لنائله مثل
توسع من عذب الشريعة صافيا
وفي جوفه البحر المحيط فما الطل
حوى المطلب العالى وأنى لنا به سواء علينا الكثر بعد أم القل
وقد مكثت حينا من الدهر مالها
صديق يميط الستر عنها فينسل
مضى زمن والقوم عنها بغفلة
فأمتعها بالشرح قد زانه الصقل
فقام ببر الام أم محمد
من الاهل مفضال ويا حبذا الاهل
وألبسها نسجا كريما محبراً وحسبك هذا وهو ممتنع سهل
لقد حاك هذا النسج أروع بارع
يمت الى الزهراء فهى له أصل
وقد انجبت فى كل عصر أئمة كراما لهم فى كل مشكلة فصل
ولكنهم لم يقرنوها بكافل يبين ما فيها فتتضح السبل

الي أن جلاها من بنيها مدرب

يحارب فيها الدهر في كفه نصل

امام همام اريحى مهذب مخيمه العلياء وهو لها أهل

هديت الى شرح بحق لها عني

أزيل به عنها الحزونة والمحل

ووشحتها شرحا كريما مهذبا

يباهي به ذو الفضل قوما لهم فضل

أما ومنار الهدى فى جنباته يضئ ونور الدين من فوقه يعلو

لقد أيد الحق المبين وكانا لآياته الحسناء ألسنة تتلو

وللمرشد الاسني أياد كريمة

تفوق أيادى الوبل ماعظم الوبل

وكيف وهذا السفر بعض هباته يؤلف بين النافرين بما يحلو

يحل رموزا طال عهد خفائها

فصارت كضوء الشمس يبصره الكل

وماذا على من قال فيه مضمنا

لبيت أبي حفص وان حسن الكل

(اذا أنعمت نم عليّ بنظرة
فلاأسعدت سعدى ولاأجملت جمل)

أدلته وقف على الحق والهدى
غدت زينة فى حسنها ولها دل

اذا قست مابين البسيط وبينه
رأيت عباباً زاخراً بعضه السيل

كتاب كما يهوى الامام مبارك
تميس به الاحكام في طيها العدل

محبرة لفظا محررة هدى فمنطقها جزم ونائلها جزل
مدللة تزهو على الروض يانعا معللة كالشهد أخلصه النحل

جموع شتيت قد حوى الفقه جملة
منوع لما ينبو وليس له مثل

وحسبك ان الله آتاك فضله
فلا تكترث بالطاعنين وان جلوا

وصابر ورابط حيثما كنت واصطبر
سواء عليك الكثر ما كان والقل

فلله ما أهدى لنا فكره هدى تضمنه أم وشايعها النجل

فلا برحت أيدي العلاء تمده بافضل مما تمترى ولها الفضل

له منه تعالى جزيل الجزاء ومنى جميل الثناء انه سميع الدعاء * ومما يخطر بفكرى ويجيش فى صدرى أن أختم تقريظى لهذا الكتاب بعد قول الله تمت كلمته وقامت حجته كما بدأ كم تعودون بقول الاديب أبي اسحق ابراهيم بن أبي الفتح ابن عبد الله بن خفاجه الاندلسى رحمه الله

كفي نعمة لله انك صائر ترابا كما سواك قبل فعدلك

وان شئت مرآى كيف كون ثانيا فدونك فانظر كيف كون اولك

فهل أنت فى دار الفناء ممهد محلك في دار البقاء ومنزلك

نسأل الله أن يختم لنا بالحسنى وأن يبوأنا المنزل الاسني آمين

قال ذلك وكتبه

السعيد بن على الموجي

الشافعى لطف الله به

وبالمسلمين آمين

فهرست البيان في أصل تكوين الانسان

صحيفة

صحيفة

صحيفة

تمت

صحيفة	سطر	خطأ	صواب
١	١٢	١٣٢٧	١٣٢٨
٣	١٢	كراسا	كراسة
٥	١٠	مهما	مهماً
٦	١٢	لا يكون فيها نسل	لا يكون نسل
١٠	٠٧	السائل	السائل
١٩	١٤	فيلتقطنها	فيلتقطها
٢٢	١٢	منشأ	منشا
٢٤	٠٣	في القنوات	من القنوات
٠	١٥	حروج	خروج
٢٧	١٢	منيين	منين
٣٥	١٣-١٤	كل للمهبل	كل جهة للمهبل
٣٩	٠٦	تمنع	تمتع
٥٢	٠٨	أناث	إناث
٦٣	١٢	يكون	يُكَوِّن
٦٦	١٢	تكون بعد	تكوّن بعدُ

صحيفة	سطر	خطأ	صواب
٦٧	٠٩	الميشمة	المشيمة
٧٩	٠٧	وال[illegible]ياس	والپنكرياس
٨٣	٠٩	البريتونية	البريتونية
٨٩	١٤	تغطى	تعطى
١٠٤	٠٤	شرافات	شرفات
١٠٨	١٦	الحماع	الجماع
١٢٣	٠١	الحرقفيه	الحرقفية
٠٠٠	٠٣	الأيام	الاحيائ
١٢٤	١٤	والرحمم	والرحم
١٢٦	١٦	فكثير	فكثيرا
١٢٩	١٤	يتناقص	ويتناقص
١٣٧	٠٢	المنعيين	المعنيين
١٤٩	٠٦	وقد نجر	وفد نجران
١٥٧	١٣-١٤	لم لا لايجوز	لم لايجوز